مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٤ المجلد ١٤/ العدد ٤

خُطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان
قراءة في ضوء اللسانيّات النصّيّة

م.د سليمة فاضل حبيب
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسيّة

البريد الإلكتروني Email : d.saleemaalkalabe@Gmail.com

الكلمات المفتاحية: الخطبة الرمضانية . اللسانيات . النصية.

كيفية اقتباس البحث
حبيب ، سليمة فاضل، خُطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان قراءة في ضوء اللسانيّات النصّيّة، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The sermon of the Messenger (may God bless him and his family) in welcoming the month of Ramadan A reading in the light of textual linguistics

Assistant Professor Salima Fadhel Habib
University of Kufa - College of Basic Education

Keywords : Ramadan sermon - linguistics - textuality.

How To Cite This Article
Habib, Salima Fadhel, The sermon of the Messenger (may God bless him and his family) in welcoming the month of RamadanA reading in the light of textual linguistics, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract
The sermon of the Messenger (may God bless him and his family) is one of the great sermons in which phrases worthy of contemplation and reflection were mentioned, in a month whose name is linked to one of the names of God, as it was reported from Imam al-Sadiq (peace be upon him) in a reliable chain of transmission: “Do not say this is Ramadan, nor Ramadan has gone, nor Ramadan has come, for Ramadan is a name of God Almighty, it does not come or go, but what comes and goes is the transient, but say the month of Ramadan, for the month is added to the name, and the name is the name of God (may His mention be glorified), and it is the month in which the Qur’an was revealed, making it an example and a threat, and therefore it deserved to be re-read and analyzed by observing the semantic relationships between sentences in particular, and between groups of sentences and their grammatical characteristics in a general way, so the choice fell on employing textual linguistics in this reading, and it was necessary to intertwine practices and evoke several references that control it: (the type of discourse, its producer, and its recipient) in order to understand and analyze the sermon, by subjecting it to the seven textual criteria proposed by De Beaugrand in discourse

analysis, which are: (casting, weaving, Purposefulness, acceptability, information, situational, intertextuality).

الملخّص

تعدّ خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) من الخطب العظيمة التي وردت فيها العبارات الجديرة بالتأمّل، والتدبّر في شهرٍ ارتبط اسمُه باسمٍ من أسماء الله؛ إذ ورد عن الإمام الصادق(عليه السّلام) في سندٍ معتبر:" لا تقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان؛ فإنّ رمضان اسم من أسماء الله عزّ وجلّ لا يجيء ولا يذهب، وإنّما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا شهر رمضان؛ فالشهر مضاف إلى الاسم، والاسم اسم الله (عزّ ذكره)، وهو الشهر الذي نزل فيه القرآن، جعله مثلًا ووعيدًا".

ولذلك استحقت إعادة قراءتها، وتحليلها من خلال رصد العلاقات الدلاليّة بين الجمل بشكل خاصّ، وبين مجموعات من الجمل وخصائصها النظميّة بشكل أعمّ؛ فوقع الاختيار على توظيف اللسانيّات النصّيّة في هذه القراءة، وكان لا بدّ من تداخل ممارسات واستحضار مرجعيّات عدة تحكّم فيها: (نوع الخطاب، ومنتجه، ومتلقيه) من أجل فهم الخطبة وتحليلها، وذلك من خلال إخضاعها للمعايير النصيّة السّبعة التي اقترحها دي بوجراند في تحليل الخطاب، وهي: (السبك، الحبك، المقصدية، المقبولية، الإعلامية، الموقفية، التناصّ)؛ فجاء البحث على محورين: أحدهما نظري دار حول تساؤلات طرحتها الباحثة حول الخطبة هل تعدّ خطابا مطلقا يتجاوز زمن إلقائه؟ أم أنّها تعدّ نصًّا؟ كما هي عليه الآن على اعتبار أنّها أصبحت مكتوبة؛ وهذا ما قد يخرجها من دائرة الخطابيّة على وفق بعض الرؤى التي دارت حول الفرق بين النصّ والخطاب، أم يمكن أن نعامل الخطبة على أنّها نصٌّ يمكن أن يكتسب سمات الخطاب الأولى التي ولد بها؛ ليتجدّد في الحدوث بما فيه أصالة في الفكرة والمضمون والمقدمات واللطائف والإشارات؛ ليمكن أن نعدّه خطابا في النتيجة..، أمّا المحور التطبيقي فأخذت الباحثة على عاتقها فيه محاولة تطبيق المعايير النصية السبعة لبوجراند في محاولة لإيجاد إجابة شافية لتلك التساؤلات التي بدأت بها البحث.

المحور النظري للبحث: أوّلًا: مشكلة البحث، **ثانيًا:** نظرةٌ بين النصّ والخطاب (مفهوم النصّ- مفهوم الخطاب)، **ثالثًا:** نقاط الاشتراك بين النص والخطاب، **رابعًا:** الفرق بين لسانيات النص ولسانيات الخطاب.

المحور التطبيقيّ للبحث:(تحليل الخطبة وفاقًا للمعايير النصّيّة السّبعة):(السّبك، الحبك، المقصديّة، المقبوليّة، الإعلاميّة، الموقفيّة، التناصّ).

أوّلًا/ مشكلة البحث:

لقد تأسّس هذا البحث على مجموعة من التساؤلات:

١. ما الذي تمثّله هذه الخطبة؟ هل نعدّها خطابًا أم نصًّا؟ فإن وصفت بـ (الخطاب)، فهل يصدق عليه كونه رسالة تواصليّة إبلاغيّة متعدّدة المعاني تُبثّ من شخصٍ (باثّ) في إطار سياق معيّن لتوجه نحو متلقٍ معيّن؟، مع افتراض كون المتلقي سامعًا للخطاب في لحظة إنتاجه بعدّه المقصود في تلك الرسالة التواصليّة الإبلاغيّة، وكون الخطاب شفويًّا؟.

٢. في خضم ما يدور في فلك الدراسات اللسانيّة من محاولات لتحديد المفهومين، هل نفهم أن تسمية (الخطاب) تقتصر على ما أنتجتْه اللغة الشفوية؟ كما يرى روبير اسكاربيت[١]، ولا يمكن لذلك الخطاب أن يتحوّل إلى نصٍّ حتّى ولو أعيد إنتاجه عن طريق الكتابة شريطة أن يكتب على الشكل الذي قيل فيه؟ وهل ما كان شفويًّا في أصله لا يمكن عدّه نصًّا؟، وكيف سنفسّر قول بول ريكور: " لنسمِّ نصًّا كلّ خطاب تثبته الكتابة"[٢] ولو عكسنا التساؤل فهل يبقى النصّ نصًّا ولا يمكن تسميته خطابًا حتّى وإن أُلقيَ شفهيًّا على مسامع المتلقّي في ضمن سياقات، ومواقف مختلفة؟.

وإن وصفتْ هذه الخطبة في كونها (نصًّا) فهل يعبر هذا النصّ عن " بِنية مركبة متماسكة ذات وحدة كليّة شاملة يستلزم وصفها تعقب تلك العلامات الممتدّة أفقيًّا والبحث عن وسائل الربط النحويّ، وتتابع القضايا والمعلومات والتماسك الدلاليّ، ووسائله وإمكانات الربط الداخليّ وتحديد المدى الذي يحتاجه النصّ من العناصر غير اللغوية التي حقّقت له الوحدة والانسجام والاستقرار"؟ . كما يرى سعيد حسن بحيري في تعريفه للنصّ[٣]، على أن المتلقّي لذلك النصّ متلقٍ غائب، ويعدّ ذلك النصّ هو الآخر رسالة تهدف الى عرض تواصليّ إلّا أنّه أثبت بالكتابة واتّصف بالديمومة، ولهذا تتعدّد قراءاته، وتتجدّد بتعدد قرّائه، ووجهات النّظر فيه، والمناهج النقديّة التي يُقرأ بها.

٣. مع افتراض ما ستؤول إليه القراءة هذه من نتائج؛ فكيف نمارس عمليّة (الفهم) للخطبة النبويّة الشّريفة؟ وماهيّة الرسالة التي تحملها؟ هل نعدّها خطابًا تنطبق عليه سمات (الخطاب) الذي اصطلح عليه في علم اللسانيات؟ أم نقرأه خطابًا يتجاوز تلك السمات لنفهمه بوصفه خطابًا حقيقيًّا جديدًا موجّهًا لمتلقٍ افتراضيّ آخر مقصود غير المتلقي الذي زامن لحظة سماعه؟، بمعنى أنّه متلقٍ لاحقٍ لزمن المتلقّي الحقيقيّ الواقعيّ؛ لنقف إلى جانب من يرى أنّ الخطاب أوسع من النصّ[٤] ،وحين ذاك لن يكون زمن الإبلاغ والتواصل مقتصرًا على لحظة إنتاج الخطاب!، ولا سيما وأن المنتج ليس شخصيّة عادية أو مبدعًا متأنّقًا قصد في خطابه مجرّد إظهار قدرته على

إنتاج نصٍّ تربطه مجرّد علائق نحوية مرتبة أو صور بلاغية متخيّلة؛ بل هو خطاب صدر عن شخصيّة لها أبعادها الفكريّة والعقائديّة، والرساليّة التي تميّزها من شخصية مطلق أصحاب الخطابات الأخرى على مدى العصور!..، فضلًا عن كون المقصود من الخطاب، متلقٍ يؤمن بخصوصية فرض الصوم في هذا الشهر وهي خصوصيّة ثابتة وقارّة في معتقده، وهو ما يستدعي مشكلة أخرى في فهم هذه الخطبة وهي:

ـ لو قلنا إنّه خطاب؛ فهل هو محددٌ فعلًا بسياق الزمن والموقف الذي قيل فيه؟ وهو أواخر ذلك الشهر (شعبان)في تلك السنة؟ استقبالًا لشهر رمضان المخصوص ذاك؟!، فهل يعدّ خطابًا مؤقّتًا ضيّقًا اقتصر في فاعليته على زمنٍ وجمع محددٍ من الناس؟ وليس بإمكان المتلقي المعاصر أن يتلقى الخطاب نفسه بالشكل الذي أراده الرسول (صلى الله عليه وآله) بما فيه من مضامين وقيم جوهرية تتجاوز محدودية الزمان والمقام؟، ولعلّ الخطبة الرمضانية التي استقبل فيها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ذلك الشّهر في تلك السنة ليست مختصّة بسياق ذلك الشهر وتلك السنة وأولئك الناس وحسب؟ وربما هو خطاب موجّه استدعى فيه قائله سياقات ومقامات متعاقبة تعاقب الشهور والسنين، على متلقين افتراضيين جدد؛ ما دام لهذا الشهر من تعاقب وتجدد كلّ سنة هجريّة وما لهذا الشهر من حضور متجدّد في ذهن متلقّيه، ما يعني أنّه ظاهرة فلكيّة متكرّرة ومتجددة فلكيًّا ومفاهيميًّا في الوقت نفسه.

ـ تشعر الباحثة مع تكرار قراءة الخطبة على مدى قراءات متعدّدة أنّ الخطبة ليستْ مجرّد بِنية تركيبية سطحية ظاهرة؛ بل يكتنه تلك البنية أخرى عميقة تحتاج إلى القراءة والشرح والتفسير والتأويل بغضّ النّظر عن معاملتها بوصفها خطابًا أو نصًّا، وبغضّ النّظر عن تصوّر الباحثة بوصفها (متلقيًا) مع افتراض كون الخطبة (خطابًا)، أو بوصفها (قارئًا) مع افتراض كون الخطبة (نصًّا)، وهل إن سمة الديمومة مقتصرة على النصّ وحده أم الخطاب كذلك؟.

وبسبب هذه التساؤلات جاءتْ فكرة البحث في الخطبة الرمضانية في محاولة لإعادة قراءتها بوصفها نصًّا مكتوبًا من جهة؛ لنتمكّن من تحليلها من أجل إعادة فهمها، واستثارة مكامنها بوصفها خطابًا من جهةٍ أخرى.

ولكي أحاول تحليل الخطبة الرمضانية وتفسيرها وتأويلها، اخترتْ توظيف مباحث اللسانيات النصّيّة في تلك القراءة من خلال رصد العلاقات الدلالية بين الجمل بشكل خاصّ، وبين مجموعات من الجمل وخصائصها النظمية بشكل أعمّ؛ لكي أحاول إثبات كون خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) يمكن أن تعدّ نصًّا من جهة، كما يمكن أن تعدّ خطابًا من جهة أخرى، كما يمكنها أن تكون الاثنين معًا! ولكي يتحقق التحليل كان لا بدّ من تداخل ممارسات

واستحضار مرجعيّات عدة تحكّم فيها(نوع الخطاب، ومنتجه، ومتلقيه ابتداء بي بوصفي قارئةً مهتمةً وواعية بأهمية إعادة قراءة (النصوص) مرّة، وبوصفي متلقية لـ(الخطاب) مرّة أخرى، بوصفه خطابًا يمارس فاعليته التأثيرية التي مارسها في متلقيه وقت قوله!، وربما أكثر من ذلك؛ ما يجعلنا في قبالة نصّ لا يحتاجنا قارئين لإظهار مقاصده بالقدر الذي نحتاجه فيه لممارسة عملية الفهم والمعرفة بما يتوجب علينا فهمه ومعرفته.!

ويبقى علينا إدراك أن لا سبيل لنا نحو ذلك الفهم سوى (النصّ) المكتوب لدينا مستشفعين بمرجعياته اللغوية، والمنطقية، والمعرفية، والإدراكية، والاجتماعية.

ثانيًا. نظرة بين النصّ والخطاب:

تأسيسًا للافتراضات السّابقة في المشكلة التي تأسس عليها البحث في عدّ الخطبة نصًا أم خطابًا؛ نستشفع بمجموعة من الطروحات التي فيها يتداخل مفهوما النصّ والخطاب تداخلًا كبيرًا في الدراسات اللسانية الحديثة؛ بسبب تعدّد التوجهات والأبعاد التي انطلقت منها تلك المقاربات التي حاول أصحابها الإمساك بخيوط رفيعة للتفريق بينهما؛ ليتعذر بذلك الوقوف على حدود علمية موضوعية يمكن الوقوف عندها.

ففي بعض تلك المقاربات يعدّ الخطاب رديفًا للنص ـ كما يرى سعيد يقطين ـ في أنّ العلاقة قائمة بينهما، وأنّها متعدّدة الأوجه انطلاقًا من الرأي الذي يقول إنّهما وجهان لعملة واحدة، تسمّي الخطاب كما تسمّي النصّ[٥]، وهنا عدّ الخطاب مقابلًا لمصطلح النصّ، كما هو الحال في دراسات جنيت، وتودورف، وفاينريش[٦]؛ إذ تجاذبت الخطابَ اتّجاهاتٌ متعدّدة ومع كونه يجتمع مع النصّ من حيثُ الدلالة؛ لأنّ النص يُقرأ على أنّه وحدة معقّدة من الخطاب؛ إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب وإنّما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد[٧]، ومع ذلك فإنّ محاولة التفريق بين المفهومين ما زالت قائمة، وبين هذا وذاك يقرّر بعضٌ أنّ الخطاب أوسع من النصّ[٨]؛ تأسيسًا على كون الخطاب يطبعه انسجام أعمق في الدلالة والمعنى إذا كان النصّ يتميز بانسجام في الشكل والصّيغة[٩]، وقبل الشروع في مفاصل قراءتنا كان لا بدّ من استعراضٍ للفرق بين مفهومي (النصّ والخطاب) لمحاولة وصف موضوع بحثنا وتسميته وفاقًا لما سنعرضه من معطياتٍ:

١ـ مفهوم (النصّ): لم يكن التراث العربيّ القديم بمنأىً عن لسانيات النصّ، وإن كانت ليست كمفهومها الحديث؛ فقد ظهرت بوادر نظرة شمولية للنصّ لدى البلاغيين القدامى، كالباقلاني في (إعجاز القرآن)[١٠]، حين أكّد النّظرة الكليّة في النصّ القرآنيّ، وعند عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه(دلائل الإعجاز) من دعوته القارئ إلى الوقوف على النصّ الأدبيّ كاملًا حتى يستجلي

كنهه، ويكشف ستار المعنى عنه، وتأكيده ضرورةَ تماسك النصّ، وهي ما أطلق عليها (نظرية النّظم)[١١]، وعند ابن الأثير في (المثل السائر) رفض ما يعرف بوحدة البيت في القصيدة العربية، وأنكر ما عابه النقّاد بما يعرف بالتضمين في الشعر[١٢]، وهذه الأمثلة وغيرها من الإشارات تُجلّي لنا أن العرب القدامى عرفوا النصَّ، وأدركوا أهميته، وأشاروا إلى أنّ دلالات الكلام لا تتحقق بالجمل المفردة؛ بل بالوقوف على النصّ بمجمله' الا أنّها على أهميتها في مضان حديثنا عن تاريخ مفهوم (النصّ) في التراث اللغويّ، والنقديّ، بيدَ أنّها تبقى مجرّد إشارات، هنا وهناك، لم تخرج بكلمة (نصّ) عند العرب قديمًا، عمّا سوى كلّ ظهور أو تجلّ بحسب انتمائه إلى جنس معين أو نوع خاصّ من الكلام[١٣]، علمًا أنّ كلمة (نصّ) قد حظيت بكثرة الاستعمال في مظانّ علم (الأصول)، لكنها لم ترقَ إلى مستوى الاصطلاح، وبقيت محصورةً في سياق الاستعمالات التي استندت إلى دلالاتها المعجمية[١٤]، وهنا ظهرت الحاجة إلى ما أنتجه الفكر الغربيّ الحديث من دراسات لسانية حديثة دأب أصحابُها على أن يجعلوا (النصّ) محورًا لدراساتهم؛ لتنبعث مصطلحات قديمة، وتظهر مصطلحات جديدة لتتعدّد رؤى الدارسين وبحوثهم كلٌّ بحسب توجهاتهم المعرفية والحقل الذي يشتغلون فيه سواء أ كانت تلك التوجهات نظرية فلسفية أم تطبيقية إجرائية.

لقد ظهرت في مطلع السبعينات من النصف الثاني من القرن الماضي محاولات عدة لفتح جديد في تاريخ علم اللغة منذ سوسير ودراسته حول اللغة والكلام، بدأت مع فان دايك الذي قدم نظرية في النصّ الأدبي متجاوزًا الحدّ السكونيّ الذي تقف عنده بعض النظريات الأخرى في مقاربة دينامية للنصّ محددًا إيّاه بأنّه كلّ ما تجاوز الجملة، وعدّه إنتاجًا لعملية إنتاجيّة وأساسًا لأفعال وعمليات تلقٍ، واستعمال داخل نظام تواصل وتفاعل في سياقات تداولية ومعرفية وسوسيو ثقافية وتاريخية؛ إذ وضّح في كتابه (النص والسياق) الفرق بين النصّ، والخطاب واصفًا النصَّ بأنّه وحدة مجرّدة لا تتجسّد إلّا من خلال الخطاب كفعالية تواصلية وفي إطار هذه العلاقة، يتمّ الربط بين النصّ كإعادة بناء نظري مجرّد وبين سياقه التداوليّ[١٥]، وهاليداي ورقية حسن اللذان عرّفا النصّ على أساس أنّه وحدة لغوية في طور الاستعمال، وأنه ليس وحدة نحويّة مثل الجملة؛ فقد يكون كلمة أو جملة ،أو عملًا أدبيًّا، وبتعبير أعمق (النصّ وحدة دلالية) إنّه وحدة معنى لا وحدة شكل، والمعنى والدلالة بُعد أساسٌ في النظرية الوظيفية، التي يعدّ (هاليداي) أحد أبرز ممثليها[١٦]، ثمّ بوجراند في دراسته (النصّ والخطاب والإجراء)[١٧]، وكتابه (مدخل إلى علم النصّ) بالاشتراك مع درسلر الذي قدّما فيه منهجًا شاملًا عن دراسة النصّ، والتي كان لها الأثر في تنوّع مفهوم (النص) ليظهر فرع جديد لعلم اللغة وهو (علم لغة النصّ)[١٨].

ولعلّ النص قدِ اتّخذ مفهومًا اصطلاحيًّا على يد جوليا كرستيفا، ورولان بارت؛ إذ سبقت الأولى رولان بارت في اعطاء مفهوم كلّيّ للنصّ في كتابها (علم النصّ)، أوضحت فيه عن فهمها للنصّ بشكل يربطه بالواقع الاجتماعيّ، والحركة التأريخيّة للنتاج البشريّ؛ إذ ترى أنّه "خاضع لتوجه مزدوج نحو النسق الدالّ الذي ينتج ضمنه لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين ونحو السيرورة الاجتماعية التي يسهم فيها كخطاب"[١٩]، وهنا نرى أنّ جوليا كرستيفا تعطي للـ(السياق، والمجتمع، والمرحلة، والذاكرة التاريخية) أهمّية صريحة إلى جانب اللغة، التي أنتجت هذا النصّ ليمارس أثره هو الآخر بوصفه خطابًا؛ لتعرف النصّ على أنّه:" جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بوساطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو الملتزمة معه"[٢٠]، وهو ما دعانا إلى إعادة قراءة الخطبة الرمضانية باعتبار توافر هذه السمات فيها بوصفها نصًّا مكتوبًا يحمل سمات النصّ مرّة، يتعرض للقراءة لإعادة إنتاجه مرّة أخرى ولكن بوصفه خطابًا مرّة أخرى؛ أمّا الناقد الفرنسي رولان بارت فقد حاول تحديد لمفهوم النصّ في مقالته(من العمل إلى النصّ) من خلال موازنة أقامها بين العمل الأدبيّ والنصّ، في سبعة فروق[٢١]، ومقالته الأخرى التي جاءت بعنوان (نظرية النصّ)، عرف فيها النصّ بأنه:" السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلًا ثابتًا ووحيدًا ما استطاعت الى ذلك سبيلا"[٢٢] ، سعى بعد ذلك إلى انتهاج الرؤيا السيميائية متخلّيًا عن الرؤية البنيوية؛ سعيًا إلى النظر للنصّ على أنه دالّ منفتح على دلالات شتّى يحدّدها التأويل المتواصل من لدن جمهور المتلقين موظفًا ما أسّسته كرستيفا قبله من مفاهيم (التحليل الدلاليّ، التدليل، الإنتاجية، النصّ الظاهر، الكون، التناص) في دراستها للنص[٢٣].

فمهوم النصّ عند بارت يكمن في انفتاحه الدلاليّ القائم على مبدأ الاستمرار، فضلًا عن عدم اقتصاره على جنس أدبيّ معيّن، أو ارتباط فاعليته بزمن محدّد، وليس لمنشئ النصّ الوصاية الدائمة على نصّه، أو أن يعطي صفة مركزية في تلقي النصّ، كما في المناهج النقدية السياقية التي تعنى بمؤلف النصّ؛ بل إنّ النص وليد القراءة وليس المنشئ، وهذا يعني أنّ النصّ قيمة متجدّدة كلما كثر قراؤه وتنوعوا في ثقافاتهم، ومن ثم فهو غير قابل . من جهة فاعليته . للاستهلاك والنفاد عند حدٍّ معيّن؛ بل هو قيمة متجدّدة على الدوام، وقد علل بارت هذا التجدّد وعدم النفاد باللذة التي يحصل عليها القارئ في أثناء قراءة النصّ؛ فهي لذّة تحمله على إعادة إنتاجه على الدوام بحثًا عن دلالات جديدة، وهنا يستحدث لدينا تساؤل بحثيّ آخر، هل إنّ هذه الدلالات الجديدة التي يتحدث عنها بارت . والتي ربطها باللذة الحاصلة في أثناء القراءة . دلالات

وافدة على أصل الخطاب الذي يحمله النصّ؟ وهل تكمن المتعة في القراءة لذاتِها؟ أم في لحظة القراءة التي يقبض فيها القارئ على المعنى والدلالة التي تكتنف النصّ، أو تقف وراءه؟ فمن وجهة نظر الباحثة فاللذة شيء لاحق للحظة الاكتشاف تلك!، لا العكس من ذلك، بمعنى آخر: ليس النصّ وليد اللذة، ولولا تلك السمات المميزة التي بُني عليها، يستحيل أن تتحقق نظرية القراءة مطلقًا، ومع افتراض صحّة أنّ ذلك الاكتشاف الذي تحدث عنه بارت، إلا أنه ليس متاحا لكل قارئ ولا لكلّ زمان، ولا ينطبق على كلّ النصوص، وفي حديثه عن الانفتاح والتجدّد في النصّ؛ فليس من العدل ان يفهم من كلامه أنّ القراءة من أتاحت له ذلك الانفتاح والتجدد لولا ما يحمله النصّ الأصيل من أدوات الانفتاح على القارئ!.

٢. مفهوم الخطاب: لم ينأَ مفهوم الخطاب في التراث اللغوي والنقدي عن دلالاته المعجمية، فقد وردت كلمة (خطاب) في التراث العربي القديم في سياقات متعددة لمعان متنوعة، للجذر اللغوي (خطب) للدلالة على (الخطب) وجمعها (خطوب) أي الأمر العظيم الجلل، و(خطبة المرأة) بكسر الخاء، أي التقدم الى وليها بطلب الزواج منها، ومنها (الخطبة) بضمّ الخاء، وهي الكلام المنثور الذي يلقى على جمع من الناس، ومنها (الخطاب)الذي يعني مراجعة الكلام بين شخصين أو أكثر ومثله المخاطبة، وكذلك يأتي بمعنى التوجه نحو الآخر بالكلام ومواجهته، ومنه قولهم اختطب القوم فلانا، إذا توجهوا إليه بخطاب يحثونه على الزواج بصاحبتهم، ووردت لفظة خطاب ومشتقاتها في مواضع من الكتاب العزيز، في قوله تعالى: ((وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ))[٢٤]، والمراد بفصل الخطاب الحكم بالبيّنة، أو اليمين[٢٥].

ويبدو أنّ مبدأ التواصل هو الغاية الأولى من توجيه الخطاب الذي بُني مفهومه في التراث المعجميّ العربيّ على أساس توجيه الكلام مباشرة أو غير مباشرة نحو الآخر، وعلى أساس وجود نظام متحكّم في توجيه الخطاب وهو السياق الاجتماعيّ، والموقف اللذان يحكمانه، وهو ما يظهر لنا مدى نضج مبكّر لمفهوم الخطاب في الثقافة العربيّة، ما يمكن أن نعدّه نواةً لما تتبنّاه الدراسات الحديثة في فهمها مصطلح الخطاب؛ فليس من خطاب يفتقر إلى (الإشراك، والسياق) وإلّا فَقَدَ سِمتَهُ الخطابيّة[٢٦]، وهاتان السمتان شكّلتا نقطة الالتقاء للمفهوم بين التراث العربيّ، والغربيّ على الرّغم من عدم استواء المفهوم العربيّ القديم إلى مستوى الاصطلاح الحديث في الثقافة الغربية على الرغم من كونه كان وما يزال مثار جدل وخلاف بين الدارسين ولا سيما في تحديد معايير تحليل الخطاب.

وقد تقاسمت البحث في مفهوم الخطاب اتّجاهات متعدّدة منها المقاربة البنيوية التي تترافق مع التأويل الاجتماعيّ، والسياسيّ، التي مثّلت نظرية سوسير في اللغة، والنظرية التوليدية النحويّة

لنعوم تشومسكي، والتي اعتمدت على إقامة (نحو الخطاب) موازيًا لـ (نحو الجملة)، واتّجاهات أخرى تعددت دلالات الخطاب فيها بتعدّد الأسس المعرفيّة لدارسيها.

وبما أنّني أحاول في هذا البحث وصف الخطبة الرمضانيّة وتحديد شكلها اللغوي، واستكناه دلالاتها الكامنة فيها فلا بدّ أن نستقري دلالة مفهوم الخطاب في الثقافة العربية الحديثة، منها ما ذكره الدكتور بسّام بركة أنّ المقصود بالخطاب: (كلّ نصّ يأتي نتيجة لعمل إرسال لغوي يقوم به مرسل ما، ويكون موجّهًا بطريقة حتمية إلى قارئ فعلي، أو متخيّل، يقوم بعمل التلقي والتفسير)[٢٧].

ثالثًا . نقاط الاشتراك بين النصّ والخطاب

يشترك الخطاب، والنصّ في بعض النقاط؛ على اعتبار أنّ الخطاب هو تلك "الصياغة لفكرة مقصودة، في تتابع لغويّ وفاقًا لما تقتضيه القواعد اللغوية، للغة معيّنة، ومن الضروري هنا ضبط الصحّة، والسّلامة في التأليف اللغويّ؛ لأنّ سوء التأليف قد يؤدي إلى الاضطراب في العملية الإبلاغية، ليتم بعد ذلك إرسال (الخطاب) في الهواء إلى المتلقي، إذا كانت الرسالة منطوقة،(أو) تدوّن في المدونة الكتابية، والذي نستشفه من هذا الوصف أنّ هذه الصياغة ترجمة لرسالة إبلاغية يصوغها المنشئ في ذاكرته أفكارًا ومعاني فتصبح إمّا خطابًا، أو نصّا، وربّما العكس من ذلك!؛ أي أنّها قد تولّد خطابًا لكن مصيرها أن تتحوّل إلى كتابة ثمّ يمكن أن تعود لتولَدَ من جديد لتشكّل خطابًا منبعثًا؛ فما دام النصّ" مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلقّ له، وقناة اتصال اجتماعيّ يتحقق به التفاعل"[٢٨] فمن وجهة نظري المتواضعة: أقول إنّ هذه الأحداث الكلامية ما دامت مرتبطة بمتلقٍّ وقناة اتّصال بينهما، وهدف متغيّر بمضمون الرسالة، وموقف اتصالي اجتماعي مشروط بوجود التفاعل الاجتماعيّ؛ فلم لا يمكن أن نعدّ الخطبة الرمضانية (خطابًا) مرّ بمراحل إنتاج متعددة ومتعاقبة بحسب توافر هذه المقومات الستّ (الحدث، والمتلقي، والقناة، والهدف، والموقف، والتفاعل)، يميزه إمكان تحوّله إلى نصّ تحققت فيه الكفاية اللغوية والتواصلية معًا في مرحلة الأداء الكلامي مرّة، وذلك في لحظة إلقاء الرسول (صلى الله عليه واله) للخطاب في تلك السنة استقبالًا لشهر رمضان ذاك؛ ثمّ انتقل إلى مرحلة الكفاية التواصلية مرّة أخرى ولكن بوصفه خطابًا تداوليًّا تعرّض هذه المرة للقراءة والتفسير والتأويل من قبل المجتمع النخبوي، وهذا الجمع النخبوي لا يمكنه استكناه صورة الخطاب الأصلي إلّا عن طريق النصّ الموثق، واللافت في هذا الاستنتاج أنّه يوصلنا إلى واقع تحول النصّ إلى خطاب مرة أخرى ما دامت قد توافرت له شروط إنتاج جديدة أهمها شرط التفاعل الذي سيحقق بِنية الخطاب الأصليّ الدلالية الكبرى أو الكلية أو جزء منها، على اعتبار

قصور الفعل التفسيريّ، أو التأويليّ غالبًا حتى وإن استكنه جزءًا من تلك الدلالة، إلا أنّها تبقى في الحقيقة دلالة ناتجة عن عقل شخصية تاريخية وعقائدية غير عادية، وإن لم يعجزْ عقل القارئ المتدبّر، أو المحلل المختصّ العادي في استكشافها؛ إلا أنّه قد لا يصل إلى المستوى المطلوب في استقصاء دلالاتها؛ كونها قد شكلت بتلك المتواليات اللغوية نصًّا تاريخيًّا تجاوز كونه مجرّد متواليات لغوية بلاغية مائزة إلى كونه خطابًا يصلح لكلّ الأزمنة، والأماكن.

رابعًا . الفرق بين لسانيات النصّ ولسانيات الخطاب

انبثقت بوادر التفريق بين النصّ، والخطاب من تفريق دي سوسير بين اللغة والكلام(هو من قال في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة) : سأهتم في هذا الكتاب بلسانيات اللغة على أن تأتي دراسات لاحقة ستهتم بلسانيات الكلام..) وهذا ما حصل فعلًا[٢٩]...، وموضوع لسانيات النصّ عميق، يختلف منهجيًّا في التعامل معه عن لسانيات اللغة باعتبار أنّ الخطاب، والنصّ شيء واللغة شيء آخر، ولا يمكن إنكار الحاجة إلى " اللسانيات النصية ضرورة ملحة لتجاوز بعض الصعوبات التي واجهت اللسانيات الجملية، وذلك لتغيّرِ كثيرٍ من المفاهيم النقدية الحديثة، وتغير النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغة؛ فلسانيات النصّ تعنى بالنصّ بوصفه بِنية كلّيّة تسعى إلى تفسير النصوص وفاقًا لقواعد جديدة تركيبية، ومنطقية"[٣٠]، ودلاليّة لتقدّم شكلًا جديدًا من أشكال تحليل بِنية النصّ، وتعتني بظواهر نصّيّة مُختلفة.

المحور الثاني . الإطار التطبيقيّ، المعايير النصّيّة السّبعة التي اقترحها دي بوجراند (النصّ والخطاب والإجراء).

قبل أن نشرعَ في التطبيق لا بدّ من التذكير بأنّ اللسانيات النصّيّة التي ظهرت بوادرها منذ نهايات القرن التاسع عشر، واتّضحت ملامحها في النصف الثاني من القرن العشرين قد ارتبطت بالدرس الغربيّ في اللغة الانكليزية حتى أنّ المعايير التي وضعها اللسانيون الغرب للنصّ ودراسة تماسكه كانت قد وضعت في الأصل باللغة الإنكليزية؛ إذ أنّ كتاب هاليداي رقية حسن كان بعنوان (كوهيجن ان انكلش)؛ إذا فليست هذه المعايير في الأصل للعربية، إلا أنّها يمكن أن تصلح على اعتبار أنّها تقع تحت اطار علم اللغة العام الذي يبحث عن المشتركات اللغوية بين مختلف لغات الكون فضلًا عن كونها ليست غريبة عن واقع الدراسات في اللغة العربية؛ بل أغلبها تناولها علماء العربية من (بلاغيين ومفسّرين ونحويين وأصوليين) قديمًا، فحين حدّد هاليداي ورقية حسن(كتابهما: سياق اللغة والنصّ، عناصر اللغة من منظور اجتماعي سيميائي)، وتبعهما فان دايك فأضاف الالتحام أو (الحبك)، اتّضح أنّ عبد القاهر الجرجاني قد سبقهما في جمع الأمرين في نظرية النظم التي درس فيها النصوص ليصل إلى أنّ النظم هو: (حسن السبك

يراد به توخي معاني النحو)[٣١]، وسبقه سيبويه في تقسيم الكلام على (مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب)[٣٢]، ليصل الى المقبول من حيث الإنجازية والتأثيرية والمقبولية، .ثم جاء دي بوجراند ليجمع ما قدمه هاليداي ورقية حسن وفان دايك مضيفًا معايير أخرى نسبها إلى واضعيها....، وقد اختلف الدارسون العرب في عدم إمكان مناسبة تلك المعايير للنصوص العربية كما عند حسن سعيد بحيري (مدخل الى علم النصّ)، وآخرون نوّهوا إلى وجود تلك المعايير في النصوص العربية مثل سعد مصلوح (في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية).

قراءة خطبة الرسول(صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان في ضوء المعايير النصّيّة السّبعة:

أوّلا:(السّبك، والحبك): وجمعتهما هنا بشكل مقصود في عنوان المعيار الواحد؛ نظرًا لتضافرهما معًا في تكوين النصّ (موضوع الدراسة)، نحويًّا ودلاليًّا، بشكل يذهل المتدبر ويجعله في معرض المفاجأة؛ نظرًا لما يكتشفه من مضامين ودلالات جديدة لم تكن لتفرز لولا خصوصية النصّ وفرادته الإبداعية وقدرته على إنتاج الدلالات الجديدة، ليس لأنّها لم تكن قارّة في النصّ منذ لحظة إنشائه؛ بل لأنها مرّت بحالات من السكون الدلاليّ بسبب غياب القارئ المبدع، أو ضعف القراءة، وعدم قدرته على استكناه المضامين التي أنتجتها الروابط الشكليّة المتّسقة والعلاقات الدلالية العميقة من قبل مبدع تجسّد في شخصية (الرسول صلى الله عليه وآله)..، ولأنّهما **(الاتساق والانسجام)** لا يفترقان في عملية انتاج النصوص الإبداعية؛ فقد عدّ بعضهم مثل _ الدكتور محمد خطابي _ الاتّساق مكوّنًا من مكوّنات الانسجام، بمعنى أن تكون وسائل الاتّساق متناسبة مع الدلالة[٣٣]؛ لذلك أراهما لا ينفصلان عن بعضهما، لو نظرت إلى الاتّساق استدعاك الانسجام، ولو تأمّلت في الانسجام لم يغبْ عن فكرك الاتّساق.

أمّا(السّبك) فيأتي بمسمّيات أخرى كالاتّساق، والتماسك النصيّ، وأكثرها شيوعًا في النصوص وبخاصة أنّه يشترك مع بعض قواعد الجملة، ويتجاوزها من أجل وصف عام لظاهر النصّ، فيستقي من المستوى المعجمي ما يتّصل بالبِنية المجردة للنصّ ويأخذ من النحو ما يتعلق بما يفوق الجملة، ولا يغفل عن الدلالة بصفتها نتاجًا للمستويات الأخرى[٣٤]، والتي يقصد بها تلك الوسائل التي تتحقق بها خاصيّة الاستمرارية في ظاهر النصّ(الأصوات، والكلمات، والجمل) الناتجة عن العملية اللغوية، وآلياته؛ فمن أدوات تحقّق السبك مؤثرًا في تحقق الحبك:(التكرار، والحذف، والإحالة، والمصاحبة المعجمية) والتي سأجمع بين بعضها كما سيأتي في تفاصيل البحث.

١- **التكرار والإحالة:** وجمعت بين (التكرار) و(الإحالة) كونهما جاءا مترافقين بشكل ملحوظ، كسِمة خاصة بالنصّ النبويّ الشريف الذي انماز في هذه الخطبة المباركة، مع كونهما آليتين لسانيتين نصيتين مختلفتين؛ وذلك بعدّ (القيمة التركيبية) التي تجمع التكرار بالإحالة بوساطة (الضمير المتّصل) العائد والمتمثّل بضمير(الهاء المتّصلة) التي تكررت كثيرًا في النصّ بشكل مطّرد على ما سبقه من ألفاظ تكرّرت هي الأخرى؛ فتساوقت (الإحالة) مع (التكرار) في كونهما يحققان ديناميكية تجعل النصّ متّسقًا بشكل إبداعيّ، ودالّ في الوقت نفسه، و تتمثل باستمرارية النصّ وتماسكه من الناحية التركيبية؛ إذ أنّ التكرار يتحقق في تكرار لفظة بعينها في العملية اللغويّة، مثلما يحققه المضمون نفسه في وجود (الإحالة) بالضمير على لفظ سابق له أو لاحق عليه، فضلًا عمّا وجدته من تلازم للتكرار والإحالة بالضمير (المنفصل) (**هو**)، والضمير(المتّصل) (**الهاء**) معا في تراكيب الخطب، فضلًا عمّا تركه استعمال اسم الإشارة (**هذا**) بشكل مترابط مع الضميرين اللذين أشرنا إليهما(المنفصل والمتّصل)، كما سنلاحظ في أثناء البحث عن وسائل الربط المتمثلة بالإحالة بالضمير مع التكرار معا التي أسهمت في سبك النصّ، وترابطه.

وفي ما يتعلّق بالتكرار فقد تكررت مفردات كثيرة في الخطبة الشريفة مثل تكرار ألفاظ الدلالة الزمنيّة المتمثّلة في ألفاظ:(**شهر، أيّام، ليالي، ساعات**) في اتّساق مترابط في تراكيب نحوية مختلفة تلتقي عند خصوصية واحدة تتعلق بقضية دلالية واحدة، هي(الوقت، الزمن) بما تحمله هاتان الدلالتان من خصوصية المضيّ، والإفلات من يد صاحبها!.

يقول(عليه وعلى آله الصلاة والسلام) في مواضع مختلفة ومتكررة بالتعاقب:(إنّه قد أقبل اليكم **شهر** الله بالبركة والرحمة والمغفرة)، **شهر هو** عند الله أفضل **الشهور**، و**أيامه** افضل **الأيام**، و**لياليه** أفضل **الليالي**، و**ساعاته** أفضل **الساعات**، **هو شهر** دُعيتم فيه إلى ضيافة الله..، فإنّ الشقي من حرم هذا **الشهر** العظيم...، من أفطر فيكم صائمًا مؤمنًا في **هذا الشهر**..، من حسن منكم في هذا **الشهر** خلقه..، ومن خفف في هذا **الشهر** عمّا ملكت يمينه..، إنّ ابواب الجنان في **هذا الشهر** مفتّحة..، أفضل الأعمال في هذا **الشهر** الورع عن محارم الله..، أبكي لما يستحل منك في **هذا الشهر**.. فكما أنّ العناصر المحيلة المتمثّلة بالضمائر المنفصلة المتكررة المتمثلة بالضمير المنفصل (هو) لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويله، لذا تسمّى عناصر محيلة؛ فكذلك التكرار يمارس هو الآخر نوعًا من الترابط النحويّ بين اللفظ ومماثله الذي يحيلنا التركيب إليه بين الفينة والأخرى، وكأنّ اللفظة نفسها تمثّل تلك العلاقة بين الأسماء والمسميات، طبيعة هذه العلاقة دلالية تقتضي التطابق بين

العنصر المحيل والعنصر المحال إليه من حيث الخصائص الدلالية، وذلك أنّ العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل؛ بل تكتسي دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه؛ لذا وجب قياسها على مبدأ (التماثل) بين ما سبق ذكره في مقام، و بين ما هو مذكور في مقام آخر.

ويمكن القول إنّ الإحالة هي علاقة بين عنصر لغويّ، وآخر لغويّ داخلي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأوّل على الثاني؛ ولذا فإنّ فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه، كما أنّ الإحالة في العربية تتحقق بالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، و الموصولات، وهذا ما رأيناه فيما حققته الإحالة بالضمير المنفصل (هو)، في قوله (ص..: " أيها الناس إنّه قد أقبل إليكم (شهر) الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر (هو) عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات..." حيث استعمل الضمير (هو) كعنصر إحالي قبلي على مفسر سبق التلفظ به وهو لفظة (شهر) في النص نفسه، حيث حقق علاقة لغوية في النص ذاته، فضلا عن الدور الذي مارسته الإحالة بضمائر الغيبة في قوله: (وأيام (هـ) أفضل الأيام، وساعات (هـ)، وليالي (هـ) أفضل الليالي، وساعات (هـ) أفضل الساعات..، وهي (إحالة) بالضمير العائد على لفظة (**الشهر**) نفسها التي تكررت في الخطبة المباركة، مما جعل عملية الاتساق بوساطة الضمائر تكمن في كونها ضمائر (غيبة) فهي تميل غالبا الى شيء داخل النص فتكون إحالة نصية، ومن ثم تجبر المتلقي على البحث في النص عما يعود إليه الضمير فيكون ذلك من قبيل الترابط النصي، وهذا ما يؤكد على دراسته النصيون[٣٥]، وهو ما حصل في أثناء قراءة الخطبة الرمضانية؛ إذ تركز الخطاب حول (شهر رمضان) بما فيه من خصوصية على باقي الشهور، لذلك كانت نقطة ارتكاز النصّ حول الدلالة الزمنية والتي تضع المتلقي في دائرة الوعي لهذه الايام المخصوصة في السنة.

٢ـ **الربط:** تعدّ (الضمائر) من أبرز أدوات التماسك؛ لأنّها نائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، وتتعدّى وظيفتها كونها تربط بين أجزاء النصّ المقامية أو المقالية القبلية أو البعدية[٣٦]، إلا أنّ الربط بالحروف، مارس أثره بشكل مائز في تعزيز التماسك بين الشكل والمضمون، المعنى والدلالة، الظاهر والباطن، السبك والحبك معًا... ما قوّى عنصر الإحالة ووثقه في عملية سبك النصّ وحبكه في آن واحد وكما في ورود الضمائر وأسماء الإشارة اللذين حققا عنصري (التكرار والإحالة)؛ وأثرهما في تماسك النصّ، من أثر في الاتساق النصّيّ كما رأينا في ما سبق، لفت انتباهي وسيلة من وسائل الاتّساق النحوية التي تختلف عن الوسائل الأخرى؛ كونه يتضمن إشارة موجّهة نحو البحث عن المفترض في ما تقدّم أو ما سيلحق ، كما هو شأن الإحالة

والحذف والاستبدال؛ بل هو تحديد للطريقة التي يترابط بها السابق مع اللاحق بشكل منظّم[٣٧]؛ ما تركه استعمال حروف الربط النحويّ، المتمثلة بتكرار حرف (الواو) الذي تواتر بشكل كبيرٍ في نصّ الخطبة، كما يتبيّن في هذا الاستقصاء:

(إنَّـهُ قَد أَقبَلَ إلَيكُم شَـهرُ اللهِ بِالبَرَكَـةِ وَالرَّحمَـةِ والمَغفِرَةِ.. وَأَيَّامُـهُ أَفضَلُ الأَيَّامِ، وَلَيَالِيـهِ أَفضَلُ اللَّيَالِي، وسَاعَاتُهُ أَفضَلُ السَّاعَاتِ .. وَجُعِلتُم فِيـهِ ..وَنَـومُكُم فِيـهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُم فِيـهِ مَقبُولٌ، وَدُعَاؤُكُم فِيهِ مُستَجَابٌ ...وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ.. وَتِلاوَةِ كِتَابِهِ.. وَاذكُرُوا بِجُوعِكُم وَعَطَشِكُم فِيـهِ.. جُوعَ يَومِ القِيَامَـةِ وَعَطَشَـهُ... وَتصَدَّقُوا عَلَـى فُقَرَائِكُم وَمَسَاكِينِكُم، وَوَقِّرُوا كِبَارَكُم، وَارحَمُوا صِغَارَكُم، وَصِلُوا أَرحَامَكُم، وَاحفَظُوا أَلسِنَتَكُم، وَغُضُّوا عَمَّـا لا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيـهِ أَبصَارَكُم، وَعَمَّـا لا يَحِلُّ الاستِمَاعُ إِلَيـهِ أَسمَاعَكُم. وَتحنَنُوا عَلَـى أَيتَـامِ النَّـاسِ يُتَحَنَّن عَلَـى أَيتَـامِكُم، وتُوبُوا إِلَـى اللهِ مِن ذُنُوبِكُم، وَارفَعُوا إِلَيهِ أَيدِيَكُم بِالـدُّعَاءِ فِـي أَوقَـاتِ صَلاتِكُم يُجِيبُهُم إِذَا نَـاجَوهُ، وَيُلَبِّيهِم إِذَا نَـادَوهُ، وَيُعطِـيهِم إِذَا سَـأَلُوهُ، وَيَسـتَجِيبُ لَهُـم إِذَا دَعَـوهُ... وَظُهُـورَكُم ثَقِيلَـةٌ مِـن أَوزَارِكُـم.. وَاعلَمُـوا أَنَّ اللهَ... المُصَلِّينَ وَالسَّـاجِدِينَ.. وَأن لا يُـرَوِّعَهُم بِالنَّـارِ.. عِتـقُ نَسَـمَةٍ، ومَغفِـرَةٌ لِمَـا مَضَـى مِـن ذُنُوبِـهِ.. اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشَربَةٍ مِن مَاءٍ... وَمَن خفف... وَمَن كَفَّ... وَمَن أَكرَمَ.. وَمَن وَصَلَ.. وَمَن قَطَعَ فِيهِ... وَمَن تَطَوَّعَ.. وَمَن أَدَّى.. ومَن أَكثَرَ فِيهِ.. وَمَن تَلا فِيـهِ.. وَأبـوَابَ النِّيـرَانِ مُغلَّقَـةٌ.. وَالشَّـيَاطِينَ مَغلُولَـةٌ.. وَمَـن أَبغَضَـكَ.. ومَـن سَـبَّكَ.. وطِينُتـك.. واختارني.. واختارك.. ومَن أَنكَر.. وأبو. وزوجُ... وخليفتي.. وبعد. ونهُيك نهيي... وجعلني.. وأمينِـهِ.. وخليفتِـه)، والذي نلاحظه في ما تقدّم تكرار الربط بحرف (الواو) (٥٣) (ثلاثة وخمسين) مرّة في نصّ الخطبة، ما جعلها عبارة عن متتالية جُملية متعاقبة خطيًّا أضفت على النصّ لُحمةً تركيبية مائزة يندر أن تجدها في نصوص أخرى من دون أن تعرّض النصّ للتّكرار المملّ.

وأمّا الحبك: أو الانسجام، أو ما يسمى بالترابط المضمونيّ، أو الترابط الدلالي، أو الترابط المعنويّ وإلخ من المسميات... فهو يعمل بالتوازي مع معيار الاتساق النحويّ الذي أسلفنا بانه يختصّ ببيان مظاهر الترابط السطحيّ، أمّا الانسجام أو الحبك فيعتني ببيان الترابط (المفهوميّ) في النصّ، بمعنى إيضاح العلاقات الدلالية التي تربط معاني التراكيب والعبارات التي يحتويها النصّ، لكنّ فاعلية النصّ الإبداعية التي يعكسها ظاهر النصّ، وتكتنهها دلالاته العميقة لا تنتج ذلك الانسجام المقصود من دون تحقّق الاستمرارية الدلالية التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، كما أشار لذلك سعد مصلوح[٣٨]؛ فالانسجام قضيّة منطقيّة لأجل تحقّق التواصل مفهومًا.

ولا بد لكلّ نصّ أن يتضمّن علاقات معنويّة تربط أجزاءه بالبنية (الدلاليّة الكبرى)، وهي تسمح للنصّ بأن يفهم ويستعمل؛ فالروابط الدلالية لها أهميتها على مستوى تقبّل النصوص من المتلقي وتأثيرها فيه، وهي تعطي للنصّ مظهره ووحدته؛((فوحدة أيّ نصٍّ لا يمكن أن توجد بشكلٍ كافٍ إلا بمراعاة قاعدته الدلاليّة، أمّا وسائل الربط التركيبيّة فهي تسهّل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلاليّة في النصوص وفهم ذلك البناء، وقد عبّر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهم إنّ أفضل ما ينظر إلى النصّ على أنّه وحدةٌ دلاليّةٌ، وحدةٌ ليس في الشكل بل في المعنى))[٣٩]، وموضوع النصّ، أو فكرته الأساس في خطبة الرسول الرمضانية **(شهر رمضان)** ومن يقرأها بتمعن ووعي، يجدها حاضرة في النصّ في بنيته الكلية في ترابط مفهومي واضح ولافت، والذي أراه أنّ الخطبة التي بين يدي قد اشتغلت فيها العلاقات الدلالية في جهتين اثنتين سارتا بشكل متوازٍ في النص، الأولى جهة التتابع المنطقيّ للمعاني وهو ما ضمن للنص فاعليته في أن يكون كلًّا موحّدًا ومتّصفًا بالانتظام، وهو ما يمنح النصّ قبولًا متبادلًا للمتصوّرات التي تحدد صورة عالم النصّ المصمم بوصفه بناءً عقليًّا[٤٠]، والثانية جهة التتابع المنطقيّ للدلالات العاطفية التي اكتنهتها الخطبة المباركة، وهو مفهوم جديد إن صحّ لي الوصف؛ لأنّنا اعتدنا قراءةَ التتابع المنطقي بأنّه ذلك التتابع الذي يتتبعه العقل حول موضوع الكلام، وتسلسله المنطقيّ.

أمّا في الخطبة الرمضانية فلقد تحقّق الانسجام وقويت حبكة النصّ، ونسيجه الدلاليّ بما رافق تلك الدلالات من عواطف عانقت المنطق لتزيده قوة وجمالًا ولا سيما وأنّ موضوع الخطبة موضوع يمكنني وصفه بالكونيّ، نظرًا لارتباطه بمسألة الزمن وانتهاز الفرصة التي اختصّ بها ذلك الزمن المتمثّل في شهر رمضان المبارك.

قال عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الطاهرين: (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ قَد أَقبَلَ إِلَيكُم شَهرُ اللهِ **بِالبَرَكَةِ وَالرَّحمَةِ وَالمَغفِرَةِ**، شَهرٌ هُوَ عِندَ اللهِ أَفضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفضَلُ الأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفضَلُ السَّاعَاتِ)، وهنا تحقق الانسجام الذي عمل بتسلسليه المنطقي والعاطفي معا – كما أشرت آنفا– حين قدّم (صلى الله عليه وآله) (البركة) على (الرحمة) و(المغفرة)!، وقد يتساءل القارئ عن سبب اختيار ترتيب هذه الألفاظ التي تعبر عن مفاهيم مختصّة بذات الله (عزّ وجلّ) وصفاته بهذه الهندسة النحوية، هل هو ترتيب عفويّ اعتباطيّ؟ أم إنّه ترتيب منطقيّ مقصود؟ وسرعان ما يكتشف المتتبّع للخطبة المباركة أنّه ليس ترتيبًا اعتباطيًّا، حين يكتشف الإجابة في الفقرة التي تلي هذه المقدمة بقوله(صلى الله عليه وآله): (شَهرٌ هُوَ عِندَ اللهِ أَفضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفضَلُ الأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفضَلُ السَّاعَاتِ. هُوَ شَهرٌ دُعِيتُم

فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللهِ، وَجُعِلتُم فِيهِ مِن أَهلِ كَرَامَةِ الله. أَنفَاسُكُم فِيهِ تَسبِيحٌ، وَنَومُكُم فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُم فِيهِ مَقبُولٌ، وَدُعَاؤُكُم فِيهِ مُستَجَابٌ...)، إذ يدرك المتلقّي المتتبع لمعيار الانسجام من خلال الالفاظ أنّه (صلى الله عليه واله) قد أورد مصاديق ما قدّمه على غيره – أقصد (البركة)– كربط دلاليّ لمفهوم البركة كـ (وحدة دلالية صغرى)، وربط دلاليّ لمفهوم (الشهر) كـ (وحدة دلالية كبرى)؛ فتمثّلت مصاديق تلك (البركة) بقوله (صلى الله عليه وآله):(أَنفَاسُكُم فِيهِ تَسبِيحٌ، وَنَومُكُم فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُم فِيهِ مَقبُولٌ، وَدُعَاؤُكُم فِيهِ مُستَجَابٌ)، ليدرك القارئ الواعي لما يدور في تلك الهندسة النحوية والمفهومية، أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) يريد إثبات تقديم (البركة) على (الرحمة) و(المغفرة) بتوضيح أن الأنفاس التي يتنفسها الإنسان الصائم في طبيعته تتحوّل في هذا الشهر الموصوف بالبركة إلى تسبيح! وهو مظهر من مظاهر البركة في الحقيقة، والنوم عبادة مع أنّه حالة يكون فيها الانسان فاقدًا لوعيه في حالة تشبه الموت المؤقت!، وهو مظهر من مظاهر البركة كذلك، فكم إذن من التسبيحات تسجّل لهذا الصائم في الدقيقة والساعة، واليوم في هذا الشهر المبارك؟! وأي بركة أفضل من بركة تُحيل مجرد النوم إلى عبادة! فما دام الكلام في معرض ذكر مفهوم (الضيافة الإلهية) فلا بدّ هنا أن تتماز قيمة هذه الضيافة في شهر مخصوص كشهر رمضان المبارك عن الضيافة الطبيعية في مفهومها العرفي العامّ؛ ولذلك تحقق الانسجام المفهوميّ وجاء المحمول مطابقا للموضوع، وتتابعت المصاديق التي أشرنا إليها في ترتيب ثلاثية (البركة والرحمة والمغفرة)، بشكل متسق منسجم يشدّ النصّ بعضه إلى بعض.

ففضلًا عن الهندسة التركيبية المذهلة التي رأيناها في تراتبية الحديث عن البركة ومصاديقها كما موضح آنفا، جاء دور الرحمة ليذكر لنا الرسول مصاديقها هي الأخرى في قوله(صلى الله عليه وآله):(وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب..)، وأردف (عليه أفضل الصلاة والسلام) مصاديق المغفرة بعد ذلك في قوله:(فإنّ الشقي من حُرم **غفران** الله في هذا الشهر) بشكل يتوافق تمامًا مع تراتبية مفهوم (المغفرة) بعد (البركة)، و(الرحمة) كما ذكرها الرسول(صلّى الله عليه وآله) أوّل مرّة في بداية النصّ؛ ليبقى المضمون حاضرًا من أوّل الخطبة إلى آخرها، ويتحقّق الانسجام بشكل لا يتوافر في أيّ نصٍّ كان.

٣ـ القصديّة: أمّا معيار القصدية في نصّ الخطبة الرمضانية المباركة؛ فموجود وحاضر كونه معيارًا يتضمن موقف المنشئ من كون صورة ما من صور اللغة قُصد بها أن تكون نصًّا أو خطابًا يتمتّع بالاتّساق، والانسجام، وإنّ مثل هذا النصّ يعدّ وسيلة من وسائل خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها[٤١]، ما يؤكد علاقة جوهرية بين القصدية بوصفها معيارًا نصّيًّا وبين معياري الاتّساق والانسجام؛ ذلك أنّ محافظة منتج النصّ عليهما معًا، تتضمن حرصه ورغبته

في إيصال مقاصده إلى متلقّيه في حالة كونها نصًّا، أو إلى مستمعيه في حالة كونها خطابا، أمّا في الخطبة الرمضانية التي أعدُّها من النصوص التي تصلح أن تكون خطابًا مع كونها قد مضى عليها آلاف السنين، كما تصلح أن نقرأها بوصفها نصّا مكتوبًا وهي عرضة للقراءة، والتفسير والتأويل.

وفي كلتا الحالتين فالمقصدية حاضرة بشكل كبير في خطبته(صلى الله عليه وآله)، فلم نَرَ لحدّ هذه اللحظة من الوقائع اللغوية التي اشتملتها هندسة الخطبة المباركة ما ينبي عن تباين بين (الخطبة) وبين شخصية منشئها (الرسول) بوصفه مستعملًا لهذه الوقائع؛ فليس من غنى لأيّ تشكيلة لغويّة يراد استعمالها في التفاعل الاتّصاليّ عن توافر القصد بأن تكون نصًّا، وعن قبولها بهذا الاعتبار[٤٢]، في أيّ نصٍّ كان، فما بالك بخطبة جمع الرسول فيها الناسَ ليخطب فيهم في ذلك اليوم، (رغبة) منه من تبيان (موقفه) المتمثّل في كونه نبيّا مرسلًا أراد أن يوصل للناس (غايته) في الكشف عن أهمية شهر رمضان وخصوصيته المرتبطة في كونه شهر الله (عزّ وجلّ)؛ فعناصر المقصدية(الرغبة، والموقف، والغاية) حاضرة في الخطبة المباركة "بمعنى أنّ هناك توقًا ونزوعًا من الذات نحو الحصول على موضوعٍ ذي قيمة؛ فهي بهذا المفهوم أساس كلّ عمل وفعل وتفاعل"[٤٣]، ولهذا حرص جاهدًا (صلوات الله عليه وآله) أن يجعل تلك المقاصد والأهداف حاضرة في الخطبة المباركة، وحتما فإنّ معيار القصدية والمقبولية يختلفان عن معياري الاتّساق والانسجام في كونهما لا يختصّان بالنصّ نفسه وحسب؛ بل يختصّان بمستعمل اللغة، منتجٍ ومتلقٍ ما جعلهما يتّسمان بالذاتية؛ فكما يختلف التلقي من شخص إلى آخر، تختلف وجهات نظرهم في تقدير النّصوص، وهذا يؤدّي إلى نسبية المقبولية؛ فهي تتعلّق بمناسبة الوسائل اللغوية المستعملة؛ أي بنوع الأسلوب، ووسائل تزيينه وأشكال التنوّع اللغويّ[٤٤].

ولو أخضعنا الخطبةَ لما تناوله الجرجانيّ لـ (مقاصد المتكلم) على (صيغة الجمع)أوّلا، وتقسيمه لها إلى مقاصد ظاهرة ومقاصد خفيّة، وهو يعني بالأولى (المعنى)، والثانية(معنى المعنى)، إذ عبّر عن الأول بأنّه المعنى الذي تصل إليه بغير واسطة، والثاني هو ما أن تعقل من اللفظ معنى ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر[٤٥]، وهو ما يتلاءم ما عبر عنه هوسرل في النصّ الأدبيّ على أنّه تجسيد لمظاهر العالم، والحياة كما تجلّت في وعي المؤلف الذي سيثبت المعنى في هذا النصّ مرّة واحدة والى الأبد وهو يتطابق مع الموضوع الذهني الذي يحمله المؤلف في عقله أو يقصده وقت الكتابة[٤٦].

٤. المقبوليّة أو الاستحسان: ويقصد بمعيار المقبوليّة موقف متلقي النصّ تجاه صورة من صور اللغة؛ إذ يجب أن يتمتع كلّ نصّ بمقبولية من حيث الاتّساق والانسجام[٤٧]، ويتحصل بذلك النفع

للمتلقي باكتسابه معرفة جديدة، ومن ثم يستجيب لعوامل من مثل: نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف[٤٨]، ويرتبط معيار المقبولية كثيرًا بمعيار القصدية كونهما متعلقين متعلقين بطرفي المبدع والمتلقي؛ إذ يؤكد المعياران تداولية النصّ، أو الخطاب، وتتحقق المقبولية بتحقق مضانّ كثيرة، منها المقبولية النحوية التي تعدّ من الأمور واجبة التحقق في النصّ وهو ما أشار إليه سابقًا الجرجاني بقوله: " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها[٤٩]، وقد حفظ (صلوات الله عليه وآله) قوانين النظم بشرطها وشروطها في خطبته المباركة، فهي لم تكن مجرّد كلمات وعبارات منظومة بشكل اعتباطيّ؛ بل أخذ فيها الاتّساق مأخذه من المقبولية والاستحسان لجماليّة استعماله (صلوات الله عليه وآله) لأساليب البلاغة بأنواعها، ويمكن أن نصف العوامل التي ضمنت معيار المقبوليّة في الخطبة المباركة حتّى يومنا هذا بنقاط منها:

١ـ سياق الموقف: إذ جاءتِ الخطبة مناسبة لسياق الموقف في آخر ليلة أو يوم من شهر شعبان، وكان الناس وما زالوا يحافظون على سياقات معروفة ومخصوصة لاستقبال شهر رمضان كالاستهلال وما يحيط به من سياقات، كالتجمّع في أماكن معيّنة تمكنهم من رؤية الهلال بشكل جماعيّ، ومن ثمّ الترقّب والنّظر ثمّ الإعلان عن ولادة بداية شهر جديد، وربما كان شهر رمضان من أكثر الشهور التي تنال عناية الناس؛ فلذلك كان استثماره (صلى الله عليه وآله) الموقف أحد أسباب المقبوليّة والاستحسان التي تطلب الناس إليها؛ لما لهذا الشهر من فضيلة ورحمة تجعل القلوب ترقّ والنفوس تهدأ، والعقول تنجذب لما فيه رشادها وصلاحها.

٢. من خلال الترابط بين أسلوبي التوكيد والشرط معا "حين يكون النصّ على قدر من وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقّة المدخل فيكون إظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع" [٥٠]، وهو ما يعزّز معيار المقبوليّة في هذا الخطاب.

٥ـ الإعلاميّة: ويتجاذب هذا المعيار في الاصطلاح مفهومان أساسيان يختلف أحدهما عن الآخر في الوظيفة التي يؤدّيها كلّ منهما؛ وهما مفهوما الإعلامية بوظيفتها الأساسيّة (الإخبارية)، والإعلاميّة بوظيفتها (التوقعية)، أو(الانتباهية)، كما أوضحت ذلك الدكتورة زهراء البرقعاويّ في أطروحتها (الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ)؛ إذ فرّقت بين المفهومين الأساسيين لمعيار الإعلاميّة موضّحة الفرق بينهما، وأشارت إلى أنّ كل نصّ لا بدّ أن يؤدّي وظيفة أساسيّة هي الوظيفة الإخبارية ليكون سمة مهيمنة عليه وبارزة؛ كونها تعدّ القصد الأوّل من إنشاء النص

والتلفظ به بقصد الإبلاغ عن خبر من الأخبار[٥١]، إذ يُفهم الباثُ المتلقي أنّه يوفر له معرفة، وأنّه يريد أن يبلغه شيئا ما، يفيد مفهوم النقل الموضوعي للمعلومات بصورة صحيحة، بغية التأثير الواعي في الفرد، حتى تتاح له فرصة تكوين رأي حر مستقل تجاه الواقع المقدّم له في شكل حقائق، من أجل التفاهم والمشاركة بين المرسل وبين المرسل إليه على أساس الثقة المتبادلة[٥٢] .

أمّا الوظيفة الأخرى، والتي تختلف عن المفهوم الأوّل، فهي وظيفة الإعلاميّة التي تعتمد على إثارة انتباه المتلقّي ومدى توقع عناصر النصّ المقدمة، ومدى جدّية النصّ، تلك التي ترتبط بمعدّل ظهور النقاط التي تمثل نقلات أو منعطفات جديدة في تسلسل عرض المحتوى بالنسبة للمتلقي؛ إذ تتمايز النصوص باختلافها من حيث معدّل البطء والسرعة في حدوث النقلات، ومن ثمّ تتفاوت في مدى تحقق صفة النصيّة لها لذلك يرتبط مفهوم الإعلاميّة بما يسمّى الانتباه (Attentionأو التركيز (Focusing)، وينصرف إلى استجابات المتلقي أصالة[٥٣]، وحين نخضع الخطبة الرمضانية المباركة لمفهوم الإعلاميّة معيارًا، نجدُ أنّ المفهومين متحققان؛ فالرسول(صلّى الله عليه وآله) حين أراد أن يخطب بدأ خطبته بقوله:(أيّها النّاس)، قاصدًا بذلك نيّته في إبلاغهم ما أفضت إليه نبوّته الشريفة من معلومات إبلاغيّة تواصليّة، أراد بها تبليغهم رسالة خاصّة بهذا الشهر الفضيل.

أمّا وظيفة النصّ الإعلاميّة فقد تحقّقت بكفاءة عالية منذ الوهلة الأولى من إلقائها بوصفها خطابًا في ذلك الوقت، حين أردف قائلًا (صلوات الله عليه وآله) بعد قوله: أيّها الناس.. إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة...)؛ فحين يسمع المتلقي خطاب التوكيد بحرف التوكيد (إنّ) مسبوقًا بحرف التحقيق(قد)، يتبعه فعل المُضيّ(أقبل)..، فإنّ أوّل ما يقع في ذهنه أنّه سيتلقى خبرًا أو حدثًا جادًّا قد تحقّق؛ فتشتغل هنا الوظيفة الإخبارية، لكنّه سرعان ما يتفاجأ بانتقال أسلوب الخطاب إلى المجازية فينكسر أفق توقعه من جهة ويثار انتباهه للمُستعار وهو شهر(رمضان) من جهة أخرى، إذ شبّه(عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) الشهر بالإنسان حين يقبل على أحد وهو يحمل معه ما يحمل من (البركة) و(الرحمة) و(المغفرة)، وذلك على سبيل الاستعارة، ناسبًا الشهر لله تعالى لما فيه من خصوصيّة تلك الصفات(البركة والرحمة والمغفرة) دون الشهور الأخرى، مبيّنًا لهم أنّه ليس كسائر الشهور، وأيّامه ولياليه ليست كسائر الليالي، والأيام وكذلك ساعاته..؛ فالمتلقّي كان على علم بحقيقة وجود تقسيمات زمنيّة لكلّ سنة وشهر ويوم ويعلم أنّه على أبواب شهر قمريّ جديد، لكنّه لا يدرك مدى خصوصيّة (الزمن)! في شهر كهذا؛ فمراتب الكفاءة الإعلاميّة للنّصوص ترتبط بمعرفتنا عن العالم؛ فإذا كان النصّ المستوعب في شكله أو مضمونه يقدم ما يتفاعل داخلنا مع ما نختزنه من معلومات أو معرفة

ثابتة، وقد يؤثّر فيها أو يتأثّر بها، وإنّ كون العنصر غير متوقع ينتج عنه مفارقة، ولكنّها مفارقة قابلة للحلّ عن طريق الحوار بين معرفتي عن العالم وعالم النصّ، كما بين لنا حسام أحمد فرج في كتابه(نظرية علم النصّ)[٥٤]، وأظنّه يقصد بالحوار تلك المساحة التي يتركها النص بما يفضي به من إضافات معرفية ومفارقات دلالية لدى المتلقي على مرّ العصور، وتلك الاضافات المعرفية قابلة للتّجدد والحدوث كلّ عام فيما لو تعرضت الخطبة للقراءة مرّة بعد أخرى من قبل قارئ خبير ومتأمّل؛ إذ سيكشف عن دلالات قارّة في النصّ من الممكن أنّ القارئ السّابق لم يستطع استظهارها من قلب النصّ، ودلالته المركزية لذلك تبقى متجدّدة وقابلة للتكيّف مع عصر القراءة الجديدة حتّى يمكنها أن تشكل خطابًا تواصليًّا متجدّدًا.

وفي ما يتعلّق بما يحمله النصّ من الجِدّة والتنوّع كما يقول دي بوجراند(النصّ والخطاب والإجراء)؛ فكلّ نصّ يجب أن يقدم شيئًا للمتلقي، وكلّما كان الشيء جديدًا وغير متوقع كلما زادت درجة الإعلامية، ويتعلق هذا المعيار بتفاعل المتلقي حيث قد يرفض النصّ؛ لأنّه لم يحمل معلومات تهمّه أو حمل معلومات يعرفها، أو أنها قليلة لا تكفيه أو كثيرة فوق قدرته، أو خارج نطاق اهتمامه! والمائز في هذه الخطبة أنّها بدأت خطابًا وصارت نصًّا ثمّ عادت لتشكّل خطابًا مرّة أخرى؛ خطابًا بوصفها قد ألقيت في عصره على مسامع الناس بلّغ بها الرسول(صلّى الله عليه وآله) رسالة دينية إبلاغية تواصلية مهمّة، ثمّ تحول الخطاب بعد تدوينه الى نصّ مكتوب بعد زمن إلقائه، لكنّه من وجهة نظري المتواضعة من الممكن أن يتحول إلى خطاب كصورته الأولى في حالات كثيرة تشرعن حلوله خطابا مشابها او يزيد عليه أو ينقص؛ كقراءته مسموعا على المنبر من قبل خطيب معاصر في جمع من الناس يجمعهم رابط ديني واجتماعي وثقافي واحد في صلوات الجماعة، وخصوصا إذا ألقي في ظروف مشابهة لظروف إلقائه الأولى في استقبال شهر رمضان؛ فهنا يمكن أن نعدّه خطابا..، أو في حالة مدارسته بين طلبة العلم في الجلسات العلمية؛ فمن الممكن أن يعود النص إلى صورته الأولى بوصفه خطابا..، أو في حالة كونه أصبح مادّة عرفانيّة يقرؤها السالك إلى الله قراءة عرفانية تختلف بشكل كبير عن باقي القراءات؛ لأنّ المتلقي العرفانيّ يتلقى النصّ بعين الحقيقة التي يرى بها الأشياء وهي عين تلتفت إلى الدقائق واللطائف والإشارات التي لا يمكن لغيره من المتلقين العاديين أن يروها في النصوص، فهو بذلك يمكن أن ينتج خطابا جديدا وصورة جديدة لخطبة الرسول المباركة تفتح ذهن المتلقي على خفايا النصّ، وكوامنه ولا سيما إذا شارك فهمه للخطبة جمعًا من المتلقين الجدد.

٦. الموقفية: وهنا لا بدّ من الاعتراف أنّ عملية فهم النص وتذوق معايير التماسك النصي التي تشد نسيجه بعضا إلى بعض، لا بدّ أن ترجعنا إلى سياق ذلك النص والموقف الذي قيل فيه، وهنا يلزمنا بالضرورة العودة إلى عناصر انتاج النص اللغوية وغير اللغوية المتمثلة بالسياق، فمن المعلوم أنّ أيّة مقاربة لغوية تهمل السياق تعد ناقصة، حيث لا بد من الانفتاح على المكونات السياقية للخطاب التي قد تضيء العديد من الجوانب وتجيب على عددٍ من الأسئلة، ويندرج الموقف ضمن مجموعة من السياقات، أوّلها السياق اللغوي، ومنها السياق الثقافيّ، والسياق العاطفيّ، وكذلك السياق الموقفي، ويعني هذا الأخير "الموقف الخارجي الذي يُمكن أن تقع فيه الكلمة[٥٥]"أو الجملة أو النصّ عمومًا؛ فهو يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام.، ولقد اهتمَّ العلماء العرب قديمًا بالسياق عمومًا، وبالموقف على وجه الخصوص، فاهتدوا في وقت مبكّر من تاريخ العلوم اللغوية، والبلاغية إلى تلك التأثيرات الخارجية، وكلّ ما يحيط بظاهرة الكلام من ملابسات؛ كالسامع والمقام وظروف المقال، وتعدّ دراستهم لأسباب النزول في القرآن الكريم، وأسباب الورود في الحديث الشريف، وأسباب الإنشاء عند الأدباء والنقّاد – دليلًا كافيًا على أنّهم فطنوا إلى ظاهرة السياق، وما لها من تأثير في تحديد المعنى، وهكذا اهتدى العلماء العرب إلى فكرة المقام، فقالوا: "لكل مقام مقال" متقدِّمين ألف سنة على زمانهم؛ "لأنّ الاعتراف بفكرتَي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميِّزين من أُسُس تحليل المعنى – يُعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[٥٦]"، أمّا في الدراسات اللسانية الحديثة، فنجد أن فكرة السياق والموقف حاضرة بقوة في التحليل اللساني والنقد الأدبي؛ حيث تبين للسانيين والنقاد أنّ المعنى المعجمي وحده غير كاف في عملية إدراك المعنى، وهذا ما أكّده فيث، رائد المنهج السياقي، في أنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ بمعنى وضعها في سياق مختلف[٥٧]، وهو ما ينطبق على النصوص؛ فدلالاتها قد تتغير بتغير سياقاتها، أيّ المواقف التي أنتجت فيها.

إنّ السياق أو المقامية أو الموقفيّة تتضمَّن كما يقول" بوجراند" "العوامل التي تجعل النصَّ مرتبطًا بموقف سائد يُمكن استرجاعه، ويأتي النصُّ في صورة عمل يُمكن له أن يُراقب الموقف، وأن يُغيِّره"[٥٨]، وهذا ربما ما يؤكد نظريتي في إمكانية قراءة الخطبة الرمضانية المباركة بوصفها (خطابًا) جديدًا مع كونها تعدّ نصًّا مكتوبًا الآن، وذلك لإمكان تسييق الخطبة في سياقات مختلفة، فضلًا عن كونها تصلح أن تكون خطابا في بداية كلّ شهر رمضان في كلّ سنة جديدة، نظرًا لما فيها من معارف يستدعيها الزمان والمكان والمقام نفسه، وفي عملية التسييق تلك، يمكن أن تولّد دلالات جديدة لمتلقّيها غير تلك التي عرفت سابقًا؛ مع التحفّظ على أنّ هذه الدلالات

الجديدة لم تكن غير موجودة في قصد المنشئ؛ بل هي قارّة في النص ما زالت تبحث عن من يثير مكامنها ويلحقها بصورتها الخطابية الأولى ولكن في ظروف زمكانية مختلفة؛ فسواء وصفنا الخطبة الرمضانية بكونها خطابا أم نصّا فهي بحاجة إلى قارئ يمارس عملية الفهم، لا يقوم بتسييق النصّ وحسب، بل يقوم بتنشيطه، وذلك بتركيب عالم ممكن له، يتكون من سلسلة العناصر السردية المتداخلة بما في ذلك الأحداث والشخصيات والإطار الزمانيّ، والمكانيّ الذي يحتويها وذلك داخل سياق معين[٥٩]؛ لذلك أفترض أن تكون الخطبة هدفًا للقارئ الأدبيّ، أو القارئ التأريخيّ، أو القارئ الفيلسوف، أو القارئ الديني المتشرع، أو القارئ الأخلاقي، الذي يمتاز من غيره في كونه يتجاوز مستوى النّظر إلى النصّ من زاوية التركيب والعبارة، إلى مستوى النظر إلى كونها كنز من اللطائف، والدقائق والإشارات؛ فمن الممكن أن يعاد إنتاج النصّ من خلال وجود تفاسير مختلفة لعمليّة الفهم لدى القرّاء على اختلاف مشاربهم، علما أنّ لا غنى لكلّ من هذه النماذج من القراء عن الاستعانة بمعايير النصيّة التي تشدّ النصّ، وتزيد من تماسكه.

٧. **التناصّ:** يعدّ التناص كأداة إجرائية فكرة ذات أصول في تراثنا النقديّ العربيّ القديم من قبيل ما عرف بـ (السرقات الأدبية، التضمين، الاقتباس، المعارضات الشعرية..)، وهو من النظريات التي خلصت النصّ، والدراميات الأدبية بصفة عامة من أسر النّظرة الضيقة ومحدودية الأفق، وقد شهدت تطوّرًا؛ فمنذ نشوء التناص كمصطلح وهو يتحرّك بحرية وطلاقة، يستخدمه اللسانيّ، أو السيميائيّ، أو الشعريّ، أو في مجال الدراسات المقارنة[٦٠]، وقد أعاد النقاد المعاصرون صياغة تلك الأصول القديمة من جديد؛ فأسهمت العديد من الاتّجاهات الأدبية والمدارس النقدية الغربية المعاصرة في بلورتها، بدءًا بالشكلانيين الروس، ولقد برز نقاد عرب معاصرون أغنوا المكتبة النقدية العربية بتحليلاتهم معتمدين علي آلية التناصّ منهم سعيد يقطين، عبد الله الغذّامي، عبد الملك مرتاض، حميد الحميداني، محمد مفتاح، وربما كانت نظرية التناصّ لدى الغرب، اكثر ما تكون مرتبطة بالأعمال الأدبية ولا سيما النصوص الروائية، لكن الجامع في كل عمل ادبي – بحسب ما أراه – أنه يشكّل خطابًا بشكل أو بآخر؛ إذ من الممكن أن يتحوّل ذلك الخطاب إلى نصّ، وهذا النصّ لا بدّ أن يكون قد ولد "من رحم الثقافة ليؤسس في فضائها نوعًا من الموازاة، أو المعارضة التعبيرية بصيغته أو نموذج أو نظام، ومن خلال خاصيته التعبيرية يشكل النص جسرا تنتقل عبره الرسالة الأدبية من الكاتب إلى القارئ؛ إذ يتحوّل النصّ إلى عمل في شكل الوقت نفسه صياغة محددة للعالم، ورسالة داخل اللغة الفنّية، لا تمكن في كلّ الأحوال أن توجد خارج هذه اللغة؛ أيّ إنّه بواسطة هذه المدونة النصية المنية، وذات الخصائص الثابتة يمكن معارضة ما هو غير أدبي"[٦١].

طرح باختين مفهوم التناص في صيغة مفهوم (الحوارية)[٦٢] عنده مستعملًا إيّاه في وصف العلاقة القائمة بين الخطابات، وطوّره رولان بارت جاعلًا إياه مرتبطًا بلذّة النصّ والمعنى الذي يصنعه الكاتب، والذي يصنع بدوره الحياة[٦٣]، معطيا السلطة للقارئ المتمرّس الخلّاق الذي له مَلَكة التذوّق، ويجمع في بوتقة الذات كلّ الآثار التي تتكون الكتابة منها، فيما يدعوه بارت بالنصّ الكتابي[٦٤]، بينما جاء ظهور مصطلح التناص بوصفه جزءًا من الأسس النظرية لنظرية النصّ عند جوليا كرستيفا، وقد عرَّفت الناقدة الفرنسية النصّ بأنه (جهاز نقل لسانيّ يعيد توزيع نظام اللغة واضعًا الحديث التواصلي– ونقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة، سابقة أو متزامنة)[٦٥]، بأنه "تشرب وتحويل لنصوص أخرى"[٦٦] وهو يقع "عند التقاء مجموعة نصوص، ويكون في الوقت نفسه إعادة لقراءتها، وتكثيفًا وتحريكًا وانزياحًا وتعميقًا لها"[٦٧]. ويندرج في إشكالية الإنتاجية النصّيّة التي تتبلور كـ: عمل النصّ[٦٨]، ولو انفتحت على ما أفرزته الدراسات النقدية العربية والغربية فإنّ المقام يطول في تقصيها وسرد أهمّ ملامحها، إلّا أنّ ما أراه في الخطبة الرمضانيّة بعد عرضها على أهمّ ما جاءت به تلك الدراسات يدعوني إلى القول إنّ هذه الخطبة سواء عدّت نصًّا أم خطابًا، فهي تتماز بالجدّة والأصالة، ومن خلال عرضها على المفاهيم التي جاءت بها الدراسات النقدية الغربية والعربية الحديثة على السواء، لم أجد لتلك المفاهيم أثرًا فيها، ومهما حاولت إخضاعها لأهمّ تلك الرؤى المختلفة، لم يتبين لي نقاط التقاء بينها وبين النصّ الذي بين يدي.

فأمّا باختين فقد ركز رؤيته حول النصّ الروائي، والتي حددها في ثلاثة مظاهر، هي التّهجين، والحواريات العامّة والخاصّة، مؤكّدًا أنّ كلّ نصٍّ يقع عند ملتقى نصوص أخرى، وهو يعيد النظر فيها ويكثفها ويراجع صياغتها، أيّ أنّه يحوّلها لتصبح دالّة أعمّ ممّا كانت عليه[٦٩]، وهي مفاهيم لم يكن لها حضور في النصّ المدروس لدي.

وأمّا رولان بارت فقد ربط النصّ بالتناص بتعريفه النّصّ بأنه:" نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة، أو المعاصرة التي تخترقه بكامله"[٧٠]، وحين عرضت نص الخطبة على تعريفه هذا لم أجد فيها ما عبر عنه بارت بمفهوم (الاختراق) الكامل في التعريف السابق، كما أنّ الخطبة كانت وليدة لحظتها، لم يستعمل فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) اقتباسًا، ولا إحالة ولا صدى من ثقافة أخرى، ولا حتّى من القرآن الكريم، فضلًا عن ذلك فإنّ رولان بارت على الرغم من دفاعه عن مقولته الشهيرة "موت المؤلف" بأنها لا تعني إلغاء المؤلف وحذفه من دائرته الثقافية؛ بل تهدف إلى تحرير النصّ من سلطة الظرف[٧١]، وهو ما لم أجد له حضورًا هو الآخر في الخطبة الرمضانية، وبدل ذلك وجدت حضورًا كبيرًا لشخصية

المؤلف(الرسول صلى الله عليه وآله)، والتي لا يمكن تهميشها مطلقًا لتنتفي رؤية بارت في إلغاء أبّوة النصّ، ويحيى مفهوم ما يطلق عليه بـ (المبدع الأوحد)!، إلا أنّني وعلى الرغم من ذلك الحضور، يمكنني أن أصف الخطبة الرمضانيّة بأنّها خطابٌ، أو نصّ متحرّر تمامًا من سلطة الظرف الذي قيلت فيه (أواخر شهر شعبان)، (استقبالًا لشهر رمضان) من ذلك العام؛ لأنّ الظرف الذي قصده بارت بحسب فهمي القاصر هو ظرف طارئ لا يمكن في حقيقته أن يتكرّر أصالة في ظرف آخر مختلف عنه!، وأمّا الخطبة الرمضانية لمن يقرؤها بتدبر وتقصّ؛ فهي خطاب صالح لأن يتكرّر في كلّ عام من الوقت نفسه، وفي غير وقته على السواء، مع احتفاظ النصّ بأصالته، وحضور الشخصيّة التي أنتجته، وملاءمته للعصر الحديث، كما كان ملائمًا في شروطه(اللغة، السياق، المجتمع)، للعصر الذي قيل فيه!، وأمّا تعدّد دلالات النصّ بتعدد قراءة فمسألة تتعلق بعمق الدلالة ومدى قدرة أولئك القرّاء في الأسبقية إلى التعرف عليها وقدرتها على فتح آفاقه على مفاهيم ودلالات قد تكون خافية عليه من قبل عملية القراءة تلك.

أمّا جيرار جينيت، فهو الآخر يرى أنّ النص لا يعتمد على نسيج فضائه الذي يحويه، وإنّما يستعين في ذلك بعدد من اللبنات التي يستمدّها من عوالم فنّية أخرى، واصفًا ذلك البناء بـ: (معمارية النصّ)[٧٢].

أمّا جوليا كرستيفا فقد تكون الأكثر مقبولية لديّ في رؤاها حول معيار التناصّ من بين من سبق ذكرهم من النقّاد الغرب، حيثُ يشيرُ التناص لديها بأنَّ الكاتب عندما يكتب نصَّه يبنيه على نصوص سابقة تمثّلها وخلطَ بينها فتفاعلت وتمازجت فيما بينها وأخرجَ منها نصًّا مختلفًا قد ينفي النصوص السابقة!، ولا تتفاعل النصوص لمجرّد وصفها نصوصًا، وحسب؛ بل توصف بأنّها دلاليّة متماسكة لكلّ منها دلالته الخاصّة؛ إذ تلتقي هذه الدلالات في نصّ جديد لخلق معنى جديد، ودلالة جديدة في النصّ، وبهذا فالتناصّ ينفي فكرة وجود نصٍّ مستقل ومكتفٍ بذاته فلا بدَّ لكل نصٍّ أن يكون متداخلا مع نصوص أخرى[٧٣].

والسؤال هنا: لو أردنا تطبيق معيار التناص بوصفه من معايير النصية اللسانية على الخطبة الرمضانية؛ فكيف يمكن أن نقرأ مفهوم التداخل هذا؟ إنّه بالتأكيد ذلك التداخل الذي يرفد النص بطاقة إيحائية ودلالية جديدة على اعتبار أنّ "إنتاج التناصّات لا يتمّ إلا من خلال تقاطعها مع الذات، التي يعاد عبر سيرورتها، إعادة إنتاج هذه التناصّات، وإعطاؤها دلالات جديدة، نابعة من الوضع السوسيو . ثقافيّ لمؤلّف النصّ"[٧٤]، ما يعني بالنتيجة ما أردتَ الوصول إليه في أنّ التناص لو تحقق وجوده في النص المدروس الذي بين يدي، فهو تناصّ نتجَ عن تقاطع مفهوم (الصيام)، أو مفهوم (شهر رمضان) المبارك مع ذات الشخصية النبوية التي أنتجت ذلك المزيج

من المفاهيم الجديدة وغير المسبوقة بوصفها مفاهيم ليس بإمكان شخصية عادية أن تتعامل معها بهذا الإبداع والمعمارية النحوية والدلالية؛ فالمسألة إذن مرتبطة بشكل محوريّ ورئيس بشخصية منتج الخطاب، أو النصّ على السواء، ولعلّي أتّفق مع ما يؤكده الدكتور أحمد مجاهد في قوله" كل ما يكتب من نصوص، له شفرات وأصول قديمة، بعضها يدرك، وبعضها شفرات منسية "أصول منطمسة" لا ندركها، وإن كنّا لا نستطيع أن ننفي وجودها"[٧٥]، فإنّ أحد مواطن الإبداع في الخطبة الرمضانية والتي يمكن أن نعدّها من أشكال التناص النبويّة؛ اشتغال النص بفكّ ما عبّر عنه الدكتور أحمد مجاهد بمفهوم(الأصول المنطمسة)أو (المنسية)، تلك المتعلقة بفعل (الصيام)، و(خصوصية الشهر الفضيل)، و(أصول التعامل مع زمنية هذا الشهر المخصوصة)؛ فلو ترك الأمر للمتلقي؛ فمن الممكن أن يكون جُلّ ما يستحضره عن هذا الشهر قراءته العابرة لآيات الصيام في سورة البقرة في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ))** البقرة:١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٦، وكأنَّ الخطبة حقًا عبارة عن فكّ لشفرات منسيّة وأصول طمستها الذاكرة الجمعيّة!، احتاجت لمن يجعلها في معرض الإدراك، فالمتلقي لا ينفي حقيقة وجوب الصيام في هذا الشهر، لكنّه لا يدرك مدى قيمتها الدينيّة، والأثر الذي تتركه هذه القيمة لمن يدركها حقّ الإدراك.

ونحن إذ نسترجع قوله تعالى: **((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))**، يلفتنا تركيزه (صلى الله عليه وآله) على لفظة الشهر (موضوع الخطبة)، في مواضع متعددة منها في قوله (صلى الله عليه وآله):(إنّه قد أقبل إليكم **شهر** الله)، و(**شهر** هو عند الله أفضل الشهور..)، و(هو **شهر** دعيتم فيه إلى ضيافة الله..)، و(فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا **الشهر**..)، و(مَن فَطَّرَ مِنكُم صَائِماً مُؤمِناً فِي هَذَا **الشَّهرِ**)، و(مَن حَسَّنَ

مِنكُم فِي هَذَا **الشَّهرِ** خُلُقَهُ..)، و(وَمَن خَفَّفَ فِي هَذَا **الشَّهرِ** عَمَّا مَلَكَت يَمِينُهُ..)، و(إِنَّ أَبوَابَ الجِنَانِ فِي هَذَا **الشَّهرِ** مُفَتَّحَةٌ..)، و(أَفضَلُ الأَعمَالِ فِي هَذَا **الشَّهرِ**..)، وهنا قد نلتقي مع بعض مما حدّده الدكتور محمد مفتاح الناقد العربي الذي خالف كرستيفا وجيني اللذين قدّما ثلاث درجات فقط للتناص[٧٦]، وجعلها ستّة أنواع هي(التطابق، والتفاعل، والتداخل، والتحاذي، والتباعد، والتقاصي)[٧٧]، ولعلّ (التحاذي)، هو أقرب أنواع التناص في الخطبة الرمضانية– لو أقررنا بوجود التناص– فيها، وذلك من بين كل الأنواع الست الآنفة الذكر، والذي عرفه الدكتور محمد مفتاح بأنّه" المجاورة أو الموازاة في فضاءٍ مع محافظة كل نص على هويته وبنيته ووظيفته[٧٨]؛ فحين يكرّر (صلى الله عليه وآله) لفظة الشهر بهذه الصورة، لا نستشعر تكرارها لا على سبيل التطابق، ولا التفاعل، ولا التداخل، ولا التباعد، ولا التقاصي؛ بل على (التحاذي)، لأنّه (صلوات الله عليه وآله) لم يستشهد، ولم يعلق، ولم يفسّر، ولم يضمّن حتى من الآيات المباركة التي ذكرت الشهر، أو الصيام، بشكل يمكنّنا من الإقرار بوجود التناص بوصفه معيارًا؛ بل يمكننا أن نقول بأنّ التناصّ حضر بوصفه فعلًا، لكنّ هذا الفعل سار بمحاذات النصّ القرآنيّ، ولم يتقاطع معه، أو يتفاعل[٧٩]، بقدر ما حرص فيه(صلوات الله عليه وآله)على التأسيس لفهم جديد لمفهوم الشهر تربطه علاقة متينة بين المبدع بوصفه (نبيًّا)، مهمته الإيصال والإبلاغ، والمتلقي بوصفه (مكلّفا) بتلقي الرسالة، والعالم بوصفه (المكان) الذي يحوي السياق، والموقف، والتاريخ.. وبالنتيجة؛ فالخطبة الرمضانية، نصّ متفجّر الدلالات، متجدّد المدارك والمفاهيم، لا أبالغ إن قلت إنّه سيكون محلّ تلقٍ بوصفه خطابًا متجدّدا أو قراءة بوصفه نصًّا تاريخيًّا، بدلالات تصلح لكلّ الأزمنة والأماكن وهذا ما يجعله خطابًا خالدًا تواصليًّا.

نتائج البحث

أقول: أرى أنّ شخصيةً نبويّة عظيمة كشخصيّة الرسول(صلى الله عليه واله) لا ينطق عن الهوى، لم تتكلف الخطاب بهذا الشكل لتوصل رسالة موضوعها مجرّد شهر عادي بالمفهوم العرفيّ الذي اعتدناه عن الشهور!، إنّما الخطاب لمن يقرؤه ويحلّله ويؤوله، خطاب مخصوص وعاجل في مدّة زمنيّة استثنائية وفريدة ونادرة، وغير محدّدة بزمنها، لا يأتي الرسول(صلى الله عليه وآله) ليتحدّث عنها بهذه الهندسة النحويّة والدلاليّة، لولا أنّه يراها بصورة مختلفة عن الصورة التي يراها الناس العاديون، بصورتها الملكوتية المدركة من قبله بوصفه رسولًا ونبيًّا، والتي لا يمكن للعقل المجرّد القاصر أن يدركها بسهولة، ذلك المتلقي الذي قد يحتاج إلى أزمنة متطاولة لإدراكها؛ إذ أن هناك حقائق وأسرارًا في هذا الكون ومنها فضيلة هذا الشهر، لا يسع ذلك العقل

البشريّ العادي اكتشافها لولا هذه الهندسة المميزة في الاتّساق والانسجام، ولولا هذا الإبداع والجهد في محاولة تفطين المتلقّي لأهمية هذا الشهر الفضيل وتبصرته بها.

وهنا أؤكد أنّني لم أستطع إخضاع نصّ الخطبة المباركة هذه لتلك المعايير النصيّة؛ لاعتقادي المسبق بأنّها عصيّة على أن تخضع لمجرّد معايير لاحقة، محدودة، وموضوعة!، إنّما الذي يخضع للنص هو ذلك المتلقي والقارئ الذي يتعرض له؛ لاعتقادي بما أفرزه النصّ من قراءة مائزة، ولكن على وفق معاييره الخاصّة به، وما كانت المعايير النصّيّة التي اعتمدتها في التحليل سوى وسيلة لاستنطاق النصّ، ومنهجًا موضوعيًّا لتحليله.

---

[١]. روبير إسكاربيت (بالفرنسية: Robert Escarpit)، كان أكاديميًا وكاتبًا وصحفيًا فرنسيًا، أستاذ وعالم اجتماع بعد الحرب العالمية الثانية، شغل منصب الأمين العام ومدير المعهد الفرنسي لأمريكا اللاتينية في المكسيك. وفي وقت لاحق كان أستاذًا مساعدًا في الأدب الإنجليزي وأستاذ الأدب المقارن في كلية الآداب في بوردو (١٩٥١-١٩٧٠)، ومؤسس مركز علم الاجتماع للأدب الذي افتُتح في عام ١٩٦٠ (لاحقًا معهد الفن والأدب للتقنيات الشاملة).عمل إسكاربيت بمنصب المدير العلمي لمشروع «القاموس الدولي للمصطلحات الأدبية»، وهو مشروع قيد التنفيذ بتمويل من الرابطة الدولية للأدب المقارن، تابعته جان ماري غراسين منذ عام ١٩٨٨. ومن ضمن طروحاته فهو (يفترض الخطاب وجود سامع يتلقى هذا الخطاب ،بينما يتوجه النص إلى نتلق غائب يتلقاه عن طريق القراءة ،أي أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس- أولا وقبل كل شيء – على اللغة المنطوقة ،بينما النص مدونة مكتوبة ،فكما قال "روبير اسكاربيت" اللغة الشفوية تنتج خطابات بينما الكتابة تنتج نصوصا، وكل منهما يحدد بمرجعية القنوات التي يستعملها الخطاب محدود بالقناة النطقية بين المتكلم والسامع وعليه فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فإنه يستعمل نظاما خطيا وعليه فإن ديمومته رئيسية في الزمان والمكان).

[٢]. من النص الى الفعل، أبحاث في التأويل، بول ريكور، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية:٩٥، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ٣٦. أطروحة دكتوراه، ٢٠١٤.

[٣]. مدخل إلى علم النص، سعد مصلوح: ٩٣، ٩٥.

[٤]. . ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد:١١، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ٣٦. أطروحة دكتوراه، ٢٠١٤.

[٥]. ينظر: من النص الى النص المترابط، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي،المغرب –لبنان،٢٠٠٥ ص ١١٦.

[٦]. ينظر: أصول الخطاب النقدي الجديد، تودوروف وآخرون، ت: أحمد المدني، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ٣٦.

[٧]. . مقالات في الاسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٠: ٢٤١.

[٨]. ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ١١، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ٣٦. أطروحة دكتوراه، ٢٠١٤.

[٩]. ينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ٣. أطروحة دكتوراه، ٢٠١٤.

[١٠]. ينظر: منهج الباقلاني في النقد التحليلي للنص الأدبي القديم من منظور لسانيات النص، د. فتوح محمود، المركز الجامعي، تيسميسيلت، مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: ٩، عدد ٥، ٢٠٢٠، ص١١٦٥.

[١١]. ينظر: إعجاز القرآن، ابو بكر محمد بن الطيب: ٨٧،٨٨، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

[١٢]. ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير: ٢٠١، تح: محمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

[١٣]. ينظر: من النص إلى النص المترابط، سعيد يقطين: ١١٥، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٥.

[١٤]. ينظر: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا اللسان، عبد القادر شرشار:١٧، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق . سوريا،٢٠٠٦، د.ط.

[١٥]. ينظر: محمد عزام، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، م إ ك ع ،٢٠٠٣، دمشق، ص١٨٨ www.awu-dam.org

[١٦].ينظر المصدر نفسه : ١٧٧ نقلا عن :هاليداي ورقية حسن، الانسجام في اللغة الإنجليزية،١٩٧٦.

[١٧]. ينسب بعض الباحثين فكرة المعايير السبعة الى دي بو كراند وحده في هذا الكتاب لأنه أسبق من كتابه (مدخل الى علم لغة النص) المشترك مع فولفانك دريسلر، ومنهم سعد مصلوح، ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي: ٧٥ مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م

[١٨]. ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري:٩ مؤسسة المختار، القاهرة، ط١،(١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، وينظر: نحو النص ومبادئه واتجاهاته في ضوء النظرية اللسانية الحديثة: ٨، بوقرة نعمان، مجلة علامات في النقد، مج: ١٦، ع: ٦١، ٢٠٠٧.

[١٩]. علم النص، جوليا كرستيفا: ٩، ١٠، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، ط٢، ١٩٩٧.

[٢٠]. المصدر نفسه: ٢١.

[٢١]. ينظر: رولان بارت من العمل الى النص ، مقال، تر: محمد خير البقاعي ضمن كتاب: دراسات في النص والتناصية: ٢٦ مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا،ط١، ١٩٩٨.

[٢٢]. نظرية النص، مقال تر: محمد خير البقاعي ضمن كتاب دراسات في النص والتناصية: ٢٦.

[٢٣]. ينظر: علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٩١، وينظر: ملخص لكتاب علم النص لجوليا كرستيفا، بوكرمة فاطمة،٧، ٢٠٢٠. ٢٠٢١.

[٢٤]. سورة(ص) من الآية: ٢٠.

[٢٥]. ينظر: العين: ٤/ ٢٢٢ مادة (خطب)، ومقاييس اللغة: ١٩٨/٢ مادة (خطب) ، واساس البلاغة: ١٦٧ . ١٦٨ مادة خطب، ولسان العرب: ١٣٦/١.

[٢٦]. ينظر: القرآن بين مصطلحي النص والخطاب، قراءة في ضوء التراث والدرس الحديث: ٢٠٨.

[٢٧]. الاسلوبية، جورج مولونيه، ترجمة بسام بركة، ٨٢.

[٢٨]. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحتري: ٩٣، ١١٠، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١٩٩٧.

[٢٩]. ينظر: محاضرات في علم اللسان العام، فديناند سوسير: ٤، تر: عبد القادر قنيني، مكتبة طريق العلم، ١٩٨٧، وينظر: أثر لسانيات دي سوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات، د. فوزية دندوقة: ٨، قسم الآداب واللغة العربية في كلية الاداب واللغات، بحث.

[٣٠]. مسارات التحول من لسانيات الجملة الى لسانيات النص، قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية، رشيد عمران: ٣٨٥.

[٣١]. ينظر: دلائل الاعجاز: ٩٤، تقيق الشيخ محمد رشيد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٩١.

[٣٢]. ينظر: الكتاب: ١/ ٢٥- ٢٦.

[٣٣]. ينظر: لسانيات النص، مدخل لانسجام الخطاب، محمد خطابي: ٢٥٦.

[٣٤]. ينظر: الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النص إلى خصوصية التجربة الشعرية، إبراهيم بشار، مجلة المخبر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، العدد السادس، ٢٠١٠ م: ٢ -٣.

[٣٥]. ينظر: نحوية الاتساق لقصيدة النثر ، شعر محمود درويش أنموذجا، رسالة ما جستير، هاشمي محمد بلحبيب: ٥٧.

[٣٦]. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: ١٣٧.

[٣٧]. ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٣.

[٣٨]. ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح: ١٤٥،

[٣٩]. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي:٣٧-٣٨.

[٤٠]. ينظر: النص، ضمن كتاب العلاماتيّة وعلم النص: ٣٣.

[٤١]. ينظر : النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

[٤٢]. ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة و د. علي خليل أحمد، مطبعة دار الكتب، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ١٥٢.

[٤٣]. دينامية النص، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠،ط٤، ٨- ٩.

[٤٤]. ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، د. سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي في جدة، ج٣٨،مج ١٠، رمضان ١٤٢١، ديسمبر ٢٠٠٠،: ١٧٨.

[٤٥]. ينظر: دلائل الاعجاز: تح، محمود محمد شاكر: ٢٦٢- ٢٦٣.

[٤٦]. ينظر: القاريء وسلطة الفهم: ٤٩- ٥٠.

[٤٧]. النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند: ١٠٤- ١٧٢، ١٩٩٨، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،ط١.

[٤٨]. مدخل الى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، أبو غزالة وإلهام: ٣٠، ١٩٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢.

[٤٩]. دلائل الاعجاز، الجرجاني: ١/ ٣٤، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥.

[٥٠]. الحيوان، الجاحظ: ١/ ٧٥، تح: عبد السلام هارون، مكتبة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥

[٥١]. ينظر: مفهوم التلقي من خالل االنموذ التواصلي لنظرية زيجفريد شميث، د. نزار التجديتي، مجلة عالم الفكر ع،١ مج ٣٥،٢٠٠٠م، ٣١٢، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، د. زهراء البرقعاوي: ١-٢.

[٥٢]. ينظر: فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام: ١٨٦، وينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني: ٢.

[٥٣]. ينظر: في الدراسات العربية المعاصرة- دراسات ومثاقفات، سعد مصلوح: ٢٣٣- ٢٣٤.

[٥٤]. ينظر: نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج: ٦٨.

[٥٥]. علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧١، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط٥.

[٥٦]. اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان: ٣٣٧، عالم الكتب، ٢٠٠٦، ط٥.

[٥٧]. ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٦٨، عالم الكتب، ١٩٩٧.

[٥٨]. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند: ١٠٤.

[٥٩]. ينظر: التلقي والسياقات الثقافية، بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، عبد الله إبراهيم: ١٠،دط، دار الكتب الجديدة،ليبيا،دث.

[٦٠]. ينظر: إشكالية مصطلح التناص عند محمد مفتاح: ١٤.

[٦١]. البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد، موسى لعور: ٤٤.

[٦٢]. ينظر: المصدر نفسه: ٤٥.

[٦٣]. ينظر: القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني: ٢١.

[٦٤]. ينظر: البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد، موسى لعور: ٤٥.

[٦٥]. آفاق التناصية: المفهوم والمنظور- تأليف مجموعة من المؤلفين- ترجمة محمد خير البقاعي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٨- ص٣٧.

[٦٦]. آفاق التناصية: المفهوم والمنظور- تأليف مجموعة من المؤلفين: ٣٢١ ترجمة محمد خير البقاعي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٨،

[٦٧]. المصدر نفسه: ٣١٨.

[٦٨]. التناص نظريا وتطبيقيا- تأليف الدكتور أحمد الزعبي- مؤسسة عمّان للنشر- عمّان ٢٠٠٠- ص ١٤٨.

[٦٩]. ينظر: البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد، موسى لعور: ٤٥، وينظر: القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحياني: ٢١.`

[٧٠]. من الأثر الأدبي إلى النص: ١١٥، رولان بارت، تر: عبد السلام بنغيد العال، مقال من مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٢٨، بيروت، ١٩٨٩.

[٧١]. ينظر: نقد وتوجيه، رولان بارت: ١٠، تر: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، الدار البيضاء، المغرب،ط١، ١٩٩٤.

[٧٢]. ينظر: البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد، موسى لعور: ٥٢.

[٧٣]. ينظر: مصطلحات النقد السيماوي، الإشكالية والأصول والامتداد، د. مولاي على بوخاتم: ١٨٧، اتحاد الكتاب العربي –دمشق – ٢٠٠٥.

[٧٤]. تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد: ٣٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.

[٧٥]. أشكال التناص الشعري، أحمد مجاهد: ٣٨٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١.

[٧٦]. ينظر: التناص في النقدين الغربي والعربي، مجلة نزوى، ١ يناير، ٢٠٠٨.

[٧٧]. ينظر: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح: ٤٧.

[٧٨]. المصدر نفسه: ٤٧.

[٧٩]. إن قيد التفاعل بين النصوص أن تكون النصوص المتناصة فيما بينها، تنتمي إلى آفاق ثقافية مختلفة، ينظر: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح: ٤٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

–أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

–الاسلوبية، جورج مولونيه، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

–أشكال التناص الشعري، أحمد مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١.

–إعجاز القرآن، ابو بكر محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

–آفاق التناصية: المفهوم والمنظور– تأليف مجموعة من المؤلفين– ترجمة محمد خير البقاعي– الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٩٨.

–البنيات التناصية في شعر علي أحمد سعيد، موسى لعور.

–تحليل الخطاب الأدبي وقضايا اللسان، عبد القادر شرشار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،٢٠٠٦، د.ط.

–تداخل النصوص في الرواية العربية، حسن محمد حماد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.

–التلقي والسياقات الثقافية، بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، عبد الله إبراهيم، د ط، دار الكتب الجديدة، ليبيا.

–التناص نظريا وتطبيقيا تأليف الدكتور أحمد الزعبي– مؤسسة عمّان للنشر– عمّان ٢٠٠٠.

–تحليل الخطاب الأدبي وقضايا اللسان، عبد القادر شرشار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،٢٠٠٦، د.ط.

–الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥.

–دراسات في النص والتناصية، تر: محمد خير البقاعي مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا،ط١، ١٩٩٨ .

–دلائل الاعجاز، الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥.

–دلائل الاعجاز، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٩١.

-دينامية النص، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠، ط٤.
-رولان بارت من العمل الى النص، مقال، تر: محمد خير البقاعي ضمن كتاب: دراسات في النص والتناصية: ٢٦ مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا،ط١، ١٩٩٨.
-العلاماتيّة وعلم النص، منذر عياشي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط١.
علم النص، جوليا كرستيفا: ٩، ١٠، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، ط٢، ١٩٩٧.
-علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١٩٩٧.
-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار النابغة للطبع والنشر، ٢٠١٨.
-اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان: ٣٣٧، عالم الكتب، ٢٠٠٦، ط٥.
-علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧١، عالم الكتب، ١٩٩٨،ط٥.
-العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط٨.
-فن العلاقات العامة والإعلام، إبراهيم إمام، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٥٨.
-في الدراسات العربية المعاصرة- دراسات ومثاقفات، سعد مصلوح.
-في أصول الخطاب النقدي الجديد، تودوروف وآخرون، ت: أحمد المديني، بغداد دار الشؤن ثقافية العامة ١٩٨٩، ط١.
-القراءة وتوليد الدلالة، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.
-الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ، تح: عبد السلام محمد هارون.
-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط ٣.
لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١.
-اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان: ٣٣٧، عالم الكتب، ٢٠٠٦، ط٥.
-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير: ٢٠١، تح: محمد الحوفي، وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
-محاضرات في علم اللسان العام، فرديناند سوسير، تر: عبد القادر قنيني، مكتبة طريق العلم ، ١٩٨٧
-مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي.
-مدخل الى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، أبو غزالة وإلهام: ٣٠، ١٩٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢.
-مدخل إلى علم النص مجالاته وتطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف.
- . مسارات التحول من لسانيات الجملة الى لسانيات النص، قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللسانيات النصية، رشيد عمران

– مصطلحات النقد السيماوي، الإشكالية والأصول والامتداد، د. مولاي علي بوخاتم: ١٨٧، اتحاد الكتاب العربي –دمشق – ٢٠٠٥.
–ملخص لكتاب علم النص لجوليا كرستيفا، بوكرمة فاطمة، ٢٠٢٠. ٢٠٢١.
–المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي.
–مقالات في الاسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ط١، ١٩٩٠.
–مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩.
–من الأثر الأدبي إلى النص: ١١٥، رولان بارت، تر: عبد السلام بنغيد العال، مقال من مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٢٨، بيروت، ١٩٨٩.
–من النص إلى النص المترابط ، سعيد يقطين: ١١٥ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠٠٥
–من النص الى الفعل، أبحاث في التأويل، بول ريكور، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية.
–نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١،
–النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ١٩٩٨، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،ط١.
–النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي .
–نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج ٢٠٠١م
–نظرية النص، مقال تر: محمد خير البقاعي ضمن كتاب دراسات في النص والتناصية.
–نقد وتوجيه، رولان بارت، تر: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، الدار البيضاء، المغرب،ط١، ١٩٩٤.
–وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤.

الدوريات:

–مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي في جدة، بحث (اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص)، د. سعيد حسن بحيري، ، ج٣٨،مج ١٠، رمضان ١٤٢١، ديسمبر ٢٠٠٠.
–مجلة المخبر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي ، بحث (الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النص إلى خصوصية التجربة الشعرية)، إبراهيم بشار،العدد السادس، ٢٠١٠.
–مجلة قسم الآداب واللغة العربية في كلية الآداب واللغات، بحث (أثر لسانيات دي سوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات)، د. فوزية دندوقة.
–القرآن بين مصطلحي النص والخطاب، قراءة في ضوء التراث والدرس الحديث، د. سيروان الجنابي، م.م خالد توفيق مزعل، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مج ١، ع ٢٤، ٢٠١٣.
–مفهوم التلقي من خلال النموذج التواصلي لنظرية زيج فريد شميث، د. نزار التجديتي، مجلة عالم الفكر ، ع ١، مج ٣٥،٢٠٠٠م.
– مجلة الفكر العربي المعاصر ، مقال بعنوان: من الأثر الأدبي إلى النص: ١١٥، رولان بارت، تر: عبد السلام بنغيد العال، ع٢٨، بيروت، ١٩٨٩.

ـ منهج الباقلاني في النقد التحليلي للنص الأدبي القديم من منظور لسانيات النص، د. فتوح محمود، المركز الجامعي، تيسميسيلت، مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: ٩، عدد ٥، ٢٠٢٠، ص١١٦٥.
ـ نحو النص ومبادئه واتجاهاته في ضوء النظرية اللسانية الحديثة: ٨، بوقرة نعمان، مجلة علامات في النقد، مج: ١٦، ع: ٦١، ٢٠٠٧.
–نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول، ع ١. ٢، ١٩٩١.

الرسائل والاطاريح:

. إشكالية مصطلح التناص عند محمد مفتاح، جابلي سميحة، رسالة ماجستير، ٢٠١٣– ٢٠١٤.
–الإعلامية في الخطاب القرآني – دراسة في ضوء نظرية التواصل، د. زهراء جياد البرقعاوي، أطروحة دكتوراه ٢٠١٤.
–نحوية الاتساق لقصيدة النثر ، شعر محمود درويش أنموذجا، رسالة ماجستير، هاشمي محمد بلحبيب.

بحوث الشبكة العنكبوتية:

–تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، محمد عزام،٢٠٠٣، دمشق.www.awu–dam.org.
–التناص في النقدين الغربي والعربي، مجلة نزوى،١ يناير ، ٢٠٠٨، https://www.nizwa.com / .

Sources and References

The Holy Quran

-The Basis of Eloquence, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, Al-Zamakhshari Jar Allah (d. 538 AH), First Edition, 1998, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon.
-Stylistics, George Moloney, Translated by: Bassam Baraka, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 2006.
-Forms of Poetic Intertextuality, Ahmed Mujahid, Egyptian General Book Authority, 1st ed.
-The Miracle of the Quran, Abu Bakr Muhammad bin Al-Tayeb, Translated by: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Dar Al-Maaref, Cairo, 3rd ed.
-Horizons of Intertextuality: Concept and Perspective - Authored by a Group of Authors - Translated by: Muhammad Khair Al-Baqaei - Egyptian General Book Authority - Cairo 1998.
-Intertextual Structures in the Poetry of Ali Ahmed Saeed, Musa Laour.
-Analysis of Literary Discourse and Issues of Language, Abdul Qader Sharshar, Publications of the Arab Writers Union, Damascus - Syria, 2006, n.d.
-Intertextuality in the Arabic Novel, Hassan Mohammed Hammad, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1st ed.
-Reception and Cultural Contexts, A Study in the Interpretation of the Literary Phenomenon, Abdullah Ibrahim, 1st ed., Dar Al-Kotob Al-Jadeeda, Libya.
-Theoretical and Applied Intertextuality, by Dr. Ahmed Al-Zoubi, Amman Publishing Foundation, Amman 2000.
-Analysis of Literary Discourse and Issues of Language, Abdul Qader Sharshar, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, Syria, 2006, 1st ed.
-Al-Hayawan, Al-Jahiz, trans. Abdul Salam Haroun, Al-Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library, Cairo, 2nd ed., 1965.

-Studies in Text and Intertextuality, trans. Mohammed Khair Al-Baqaei, Center for Civilizational Development, Aleppo, Syria, 1st ed., 1998.
-Evidence of Miracles, Al-Jurjani, trans. Mahmoud Mohammed Shaker, Al-Khanji Library, Cairo, 5th ed.
-Evidence of the Miracle, edited by Sheikh Muhammad Rashid Rida, National Institution for Printing Arts, Raghaia Unit, Algeria, 1991.
-Text Dynamics, Theory and Achievement, Muhammad Miftah, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 2010, 4th ed.
-Roland Barthes From Work to Text, Article, Translated by: Muhammad Khair Al-Baqaei in the book: Studies in Text and Intertextuality: 26, Center for Civilizational Development, Aleppo, Syria, 1st ed., 1998.
-Semiotics and Textual Science, Munther Ayachi, Arab Cultural Center, Morocco, 1st ed.
-Textual Science, Julia Kristeva: 9, 10, Translated by: Farid Al-Zahi, Dar Toubkal, Casablanca, Morocco, 2nd ed., 1997.
-Textual Linguistics: Concepts and Trends, Saeed Hassan Bahri, Cairo, Egyptian International Publishing Company, 1st ed. 1997.
-Textual Linguistics between Theory and Application, Sobhi Ibrahim Al-Faqih, Al-Nabigha Printing and Publishing House, 2018.
-Arabic Language, Its Meaning and Structure, Tamam Hassan: 337, Alam Al-Kutub, 2006, 5th ed.
-Semantics, Ahmed Mukhtar Omar: 71, Alam Al-Kutub, 1998, 5th ed.
-Al-Ain, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar and Library of Al-Hilal, 8th ed.
-The Art of Public Relations and Media, Ibrahim Imam, Anglo-Egyptian Library, 1958.
-In Contemporary Arab Studies - Studies and Cultures, Saad Maslouh.
-In the Origins of the New Critical Discourse, Todorov and others, edited by: Ahmed Al-Madini, Baghdad, Dar Al-Shu'un Cultural Affairs, 1989, 1st ed.
-Reading and Generating Semantics, Dr. Hamid Lahmadani, Arab Cultural Center, 2003.
-The Book, Amr bin Othman bin Qanbar Al-Harithi by loyalty, Abu Bishr, nicknamed Sibawayh (d. 180 AH), Abdul Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1408 AH, edited by: Abdul Salam Muhammad Harun.
-Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifi Al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir - Beirut, 3rd ed.
Text Linguistics, Introduction to Discourse Coherence, Muhammad Khattabi, Arab Cultural Center, 1991.
-The Arabic Language, Its Meaning and Structure, Tamam Hassan: 337, Alam Al-Kutub, 2006, 5th ed.
-The Proverb in the Literature of the Writer and Poet, Ibn Al-Athir: 201, edited by: Muhammad Al-Hawfi, and Badawi
-Lectures in General Linguistics, Ferdinand Saussure, translated by: Abdul Qader Qanini, Library of the Path of Knowledge, 1987
-Introduction to Text Linguistics, Wolfgang Heine and Dieter Vihweger, translated by: Faleh bin Shabib Al-Ajami.

-Introduction to Text Linguistics, Applications of the Theory of Robert de Beaugrande and Wolfgang Dressler, Abu Ghazala and Ilham: 30, 1999, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2nd ed.
-Introduction to Text Linguistics, its Fields and Application, Muhammad Al-Akhdar Al-Subaihi, Arab House for Science Publishers - Ikhtilaf Publications.
-Paths of Transformation from Sentence Linguistics to Text Linguistics, Reading in the Beginnings and Motives for Establishment and Arab Contributions to Text Linguistics, Rashid Omran
-Terminology of Semiotic Criticism, the Problem, Origins and Extension, Dr. Moulay Ali Boukhatem: 187, Arab Writers Union - Damascus - 2005.
-Summary of the book Textual Science by Julia Kristeva, Boukarma Fatima, 2020-2021.
-Concepts are landmarks, towards a realistic interpretation, Muhammad Miftah, Arab Cultural Center.
-Articles on Stylistics, Munther Ayyashi, Publications of the Writers' Union, Damascus, 1st ed., 1990.
-Language Standards, Ahmad bin Faris bin Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Hussein (d. 395 AH), trans. Abdul Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr 1979.
-From Literary Work to Text: 115, Roland Barthes, trans. Abdul Salam Bin Ghaid al-Aal, an article from the magazine Contemporary Arab Thought, No. 28, Beirut, 1989.
-From Text to Coherent Text, Saeed Yaqtin: 115, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 1st ed., 2005
-From Text to Action, Research in Interpretation, Paul Ricoeur, translated by Muhammad Barada, Hassan Bourquia.
-Towards the Text: A New Trend in Grammatical Studies, Ahmed Afifi, Zahraa Al-Sharq Library, Cairo, 1st ed‹.
-Text, Discourse and Procedure, De Beaugrand 1998, trans. Tamam Hassan, Alam Al-Kutub, Cairo, 1st ed.
-Text, Discourse and Communication, Dr. Muhammad Al-Abd, Modern Academy for University Books.
-Theory of Text Science, A Methodological Vision in Building the Prose Text, Hussam Ahmad Farag 2001
-Theory of Text, Article trans. Muhammad Khair Al-Baqaei in the Book Studies in Text and Intertextuality.
-Criticism and Guidance, Roland Barthes, trans. Munther Ayachi, Center for Civilizational Development, Casablanca, Morocco, 1st ed., 1994.
-Shiite Means, Al-Hurr Al-Amili, Al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, 2nd ed., 1414.
Periodicals:
-Signs in Criticism Magazine, Cultural Literary Club in Jeddah, Research (Contemporary Linguistic Trends in Text Analysis), Dr. Saeed Hassan Bahri, vol. 38, vol. 10, Ramadan 1421, December 2000.
-Al-Makhbar Magazine, University of Arab Ben M'hidi, Oum El Bouaghi, Research (Consistency in Poetic Discourse from the Comprehensiveness of the Text to the Specificity of the Poetic Experience), Ibrahim Bashar, Issue 6, 2010.

-Journal of the Department of Arabic Language and Literature in the Faculty of Arts and Languages, Research (The Impact of De Saussure's Linguistics on the Methods and Theories That Followed It), Dr. Fawzia Dandouqa.
-The Qur'an between the Terms of Text and Discourse, Reading in Light of Heritage and Modern Lesson, Dr. Sirwan Al-Janabi, M.M. Khaled Tawfiq Mazal, Journal of the Islamic University College, Vol. 1, No. 24, 2013.
-The Concept of Reception through the Communicative Model of Fried Schmidt's Zig Theory, Dr. Nizar Al-Tajditi, Alam Al-Fikr Magazine, No. 1, Vol. 35, 2000.
-Contemporary Arab Thought Magazine, article entitled: From Literary Work to Text: 115, Roland Barthes, translated by: Abdel Salam Benghid Al-Aal, No. 28, Beirut, 1989.
-Al-Baqillani's Approach to Analytical Criticism of the Ancient Literary Text from the Perspective of Text Linguistics, Dr. Fattouh Mahmoud, University Center, Tissemsilt, Problems in Language and Literature Magazine, Volume: 9, Issue 5, 2020, p. 1165.
-Towards the text, its principles and trends in light of modern linguistic theory: 8, Bouguerra Noman, Signs in Criticism Magazine, Vol. 16, No. 61, 2007.
-Towards a grammar of the poetic text, a study of a pre-Islamic poem, Saad Maslouh, Fusul Magazine, No. 1-2, 1991.
Theses and dissertations:
-The problem of the term intertextuality in Muhammad Miftah, Jabali Samiha, Master's thesis, 2013-2014.
-Media in the Qur'anic discourse - a study in light of the theory of communication, Dr. Zahraa Jiyad Al-Barqawi, PhD thesis 2014.
-Grammar of coherence for the prose poem, Mahmoud Darwish's poetry as a model, Master's thesis, Hashemi Muhammad Balhabib.
Internet research:
-Discourse analysis in light of modern critical approaches, Muhammad Azzam, 2003, Damascus. www.awu-dam.org.
-Intertextuality in Western and Arab Criticism, Nizwa Magazine, January 1, 2008, https://www.nizwa.com./